رسائل وتعليقات
كتبها عبد القاهر الجرجاني

obeikandl.com

«رسائل وتعليقات»[١]

(١) هذا العنوان وضعه الأستاذ محمود شاكر في صفحة مستقلة من تعليقه على «دلائل الإعجاز» بعد انتهاء أبواب الكتاب وفصوله، وقد ألحق هذه الرسائل والتعليقات بأصل الكتاب مستندًا في هذا إلى أنها متصلة الأواصر بدلائل الإعجاز، وهي موجودة في ذيل إحدى النسخ المخطوطة فنقلها بترتيبها -ومن الإجحاف إهمال هذه الرسائل وتلك التعليقات لاسيما وأن منها ما يضيف جديدًا، ويعد تتمة لأفكار سبقت، ومنها ما يزيح غموضًا التبست به بعض الموضوعات السابقة، ويمكن التغاضي عما فيها من تكرار إذا نظرنا إلى ما فيها من فوائد جديدة مبثوثة في ثنايا كلامه، وعند قراءة هذه الرسائل نشعر أننا كنا في حاجة إلى كثير منها ولاسيما ما يميط منها اللثام عن أفكار كانت منتقبة، مثل حديثه عن صور المعاني التي يتفاوت فيها الشعراء والتي ترد المزايا إليها، وهي قصده من المعنى الذي طال دفاعه عنه، وفيها يستوقف مقولات النقاد قبله في السرقات ويستدرك عليها، ويضع مقياسًا جديدًا معتبرًا في الحكم على سرقات الشعراء، ويقدم نماذج تطبيقية منها ما تداولته كتب النقد قبله كـ«الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«عيار الشعر» لابن طباطبا، و«الصناعتين» لأبي هلال، و«الموازنة» للآمدي، و«الوساطة» للقاضي الجرجاني، ومنها نماذج انفرد بها وأضافها عبد القاهر، وكان يتميز بتوظيف هذه القضية النقدية في خدمة قضية النظم، وأنه نظم معانٍ، فإن المعاني تختلف عليها صور الشعراء، فتحدث بها خصائص ومزايا لم تكن، وأنه إذا التقى شاعران في غرض واحد ثم كان لأحدهما فضيلة وميزة ليست عند الآخر، فإن ذلك ليس للفظ، ولكن للصورة التي حدثت في المعنى، وهنا يفصح عبد القاهر عن قصده بالمعنى الذي رد المزية إليه مرارًا وتكرارًا، فقد كان يقصد به صورة المعنى وخصوصية في نظمه وتشكيله وهي التي يظهر فيها براعة الشاعر، ولا ريب في أن بين المعنى وصورته ارتباطا مما جعل الشيخ يعبر بالأول ويقصد الثاني، فإن طبيعة المعنى هي التي تستدعي كيفية التصوير.

obeikandl.com

إزالة الشبهة في جعل الفصاحة والبلاغة للألفاظ

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أنه لما كان الغَلَط الذي دَخَل على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يسري في العروق، ويفسد مزاج البدن وجب أن يُتوخَّى دائبًا فيهم ما يتوخّاه الطبيب في الناقِه[١] من تعهُّده بما يزيد في مُنَّته، ويبقيه على صحته، ويُؤْمِنُه النَّكْسَ في علّته[٢].

وقد علمنا أن أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن[٣] أن من شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد أن لا تكون[٤]، وإنك ترى الشاعر قد عمد إلى معنى مبتذل، فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعَمَلِ شَنْف وغيرهما من أصناف الحلي[٥]، وذلك أنهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساسًا، وبنوا على قاعدة فقالوا: إنه ليس إلا المعنى واللفظ، ولا ثالث، وإنه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلاميين فضيلة لا تكون للآخر، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه[٦]، أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة، وأن لا يكون لها مرجع إلى المعنى، ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا «اللفظ» وهم يريدون «الصورة» التي تحدث في المعنى، والخاصة التي حدثت فيه[٧]، ويعنون الذي عناه الجاحظ؛

---

(١) يقال: نقه فلان ينقه من باب نفع فهو ناقه أي: برئ من مرضه لكنه في عقبه.

(٢) النكس بضم النون وفتحها: العود للمرض بعد قرب الشفاء، والمنة بضم الميم: القوة.

(٣) ذهابهم عن كذا: انصرافهم عنه زهدًا فيه أو ذهولاً عنه.

(٤) وإنما تختلف الصورة لاختلاف طبائع الشعراء وتفاوت مشاربهم ومذاهبهم في الصياغة والتصوير حتى تحدث في المعنى الذي تواردوه خواص ومزايا لم تكن، مع تفاوت درجات الشعراء في ذلك.

(٥) أي أن الشاعر الماهر هو الذي يعمد إلى معنى مألوف، فيخلع عليه من فنه وتصويره، فيكون مثله في ذلك مثل الصائغ الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم ونحوه.

(٦) هذا قول الذين ذهلوا عن صورة المعنى، وذلك فيما لو اتفق شاعران في الغرض، ثم كان لأحدهما فضيلة ومزية، فإنهم يردونها للفظ.

(٧) سبق حديث الشيخ عن نحو هذا مستدلاً بقولهم: «لفظ متمكن غير قلق ولا نابٍ به موضعه، وأنه جيد السبك صحيح الطابع...» وغير ذلك من الأوصاف التي يُعلم منها ضرورةً أنه لا تكون للفظ من حيث هو صوت وحروف، ولكن من حيث كونه صورة دالة على المعنى، وهناك ذكر الشيخ أن هذه الأوصاف وإن أطلقوها للفظ، فإنها تحمل اعترافًا منهم -دون قصد- بالمعنى، ثم عبَّر هنا عن هذا المعنى بطريقة أخرى هي قوله: «ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا «اللفظ» وهم يريدون =

حيث قال: «وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني، والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي، والحضري والبدوي، وإنما الشعر صياغة وضربٌ من التصوير»[(١)].

[نقد قولهم: إن من أخذ معنى عاريًا فكساه لفظًا من عنده كان أحق به]

ومما إذا تفكَّر فيه العاقل أطال التعجب من أمر الناس ومن شدة غفلتهم قول العلماء؛ حيث ذكروا الأخذ والسرقة: «إن من أخذ معنى عاريًا فكساه لفظًا من عنده كان أحق به»[(٢)]، وهو كلام مشهور متداول يقرأه الصبيان في أول كتاب «عبد الرحمن»[(١)]، ثم لا ترى أحدًا من

= الصورة التي تحدث في المعنى...»، والمواضعة تعني الاتفاق الضمني من غير تصريح ولا نص، وكان عبد القاهر ينشد النص على هذا الذي كان كامنًا في ضمائرهم من كون اللفظ صورةً للمعنى ودالا على خصوصية فيه، ولو عثر الشيخ على جملة واحدة عندهم تدل على هذا القصد لاستراح كثيرًا من هذا العناء الذي استغرق ما يقرب من ثلث دلائل الإعجاز، ولكن من حسناته أن أبرز الأفكار النقدية لعبد القاهر وجدت مبثوثة في ثنايا هذه القضية.

(١) يعني عندما اعتدوا باللفظ كان يعنون ما عناه الجاحظ عندما حصر الشعر في كونه صياغةً وتصويرًا، وقد يُعدُّ هذا جنوحًا من الشيخ إلى حسن الظن بكلام القاضي عبد الجبار والتماس بعض العذر له لا كل العذر؛ لأنه لم ينص على ما يقطع الشك باليقين في مسألة الفصاحة واتصالها بالألفاظ، هذا ما يفهم من جملة كلام عبد القاهر في هذا الشأن.

(٢) هذا القول يتردد عند كثير من النقاد القدماء، وهو يكمل قولهم: «من أخذ معنى بلفظه كان له سارقًا» [راجع: الصناعتين لأبي هلال ت البجاوي، ومحمد أبو الفضل ٢٠٣]، وقد اعترض عبد القاهر على عبارتهم تلك لوضوح الإعلاء فيها من شأن اللفظ مع الفصل بين اللفظ والمعنى؛ إذ جعلوه يأتي عاريًا، والمعنى لا يتصور له أن يأتي عاريًا من غير لفظ يدل عليه، ولهذا وجدنا الشيخ يفسر اللفظ بأنه صورة يحدثها الشاعر في المعنى، ثم يتناول هذه القضية من خلال رؤية أعمق، ومجال أرحب يضم اللفظ والمعنى معًا في صورة المعنى، ففي «أسرار البلاغة» يحصر الأخذ والاستمداد والاستعانة والسرقة إن وجدت في الصور المبتكرة، أو ما سمَّاه بوجه الدلالة على الغرض إذا كان وجهًا غير مألوف، وكذلك التصرف في الصور المألوفة بخصوصية فيها تجعلها جديدة، فهذا ما يحكم فيه بالسبق أو الأخذ، إن أخذها لاحق من سابق [بتصرف موجز عن أسرار البلاغة ٣٣٨: ٣٤١]، على أنه في «دلائل الإعجاز» لا يرى بالضرورة أن يتفوق الآخذ دائمًا، فقد يأخذ الشاعر ويتفوق على من أخذ منه، وقد يأخذ ويقصر، وذلك فيما لو كان هناك معنى تناوله بيتان يكون في أحدهما غفلاً وفي الآخر مصورًا مصنوعًا [راجع: الدلائل ٤٨٩]، فعين عبد القاهر حينئذٍ لم تكن على الأخذ على كل ذاته، ولكن في كيفية الأخذ، وهل قصر الآخذ أو أجاد، مع عدم نفي الأخذ في حال، فالمهم عنده هو كيف كان الأخذ، وبلباقة هادفة يعرض الشيخ نماذج شتى يضع فيها المأخوذ إلى جنب المأخوذ منه تاركًا لأذواقنا استنباط أي المعنيين غفلاً، وأيهما مصورًا مصنوعًا [من ص ٤٩٠ إلى ٥٠٠]، ثم ينتقل إلى نماذج ضَرْب آخر، ترى في كل واحد من البيتين صنعةً وتصويرًا وأستاذيةً على الجملة [دلائل الإعجاز من ٥٠٠إلى ٥٠٨]، وكانت له وقفات مع بعض نماذج الضرب الثاني يوضح ما فيها من صنعة وتصوير بخلاف الضرب الأول الذي لم

ترى أحدًا من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في اللفظ، يفكر في ذلك فيقول: من أين يتصور أن يكون ها هنا معنى عارٍ من لفظ يدل عليه؟ ثم من أين يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعاني بلفظ من عنده، إن كان المراد باللفظ نطق اللسان؟ ثم هب أنه يصح له أن يفعل ذلك، فمن أين يجب إذا وضع لفظًا على معنى أن يصير أحق به من صاحبه الذي أخذه منه إن كان هو لا يصنع بالمعنى شيئًا، ولا يحدث فيه صفة ولا يكسبه فضيلة؟[٢]، وإذا كان كذلك، فهل يكون لكلامهم هذا وجه سوى أن يكون اللفظ في قولهم: «فكساه لفظًا من عنده» عبارة عن صورة يحدثها الشاعر أو غير الشاعر للمعنى؟

[أمثله لمن أخذ المعنى فأحدث فيه صورة جديدة]

ثم إن أردت مثالاً في ذلك، فإن من أحسن شيء فيه ما صنع أبو تمام في بيت أبي نخيلة، وذلك أن أبا نخيلة قال في مسلمة بن عبد الملك:

أَمَسْلَمَ إِني يا ابن كلِّ خليفةٍ ... ويا جبل الدنيا ويا واحد الأرضِ
شكرتُك إن الشكر حَبْلٌ من التُّقى ... وما كلَّ مَن أولِيتَه صالحًا يقضِي
وأنبهتَ لي ذِكري وما كان خاملاً ... ولكن بعض الذِّكر أنبهُ من بعض

فعمد أبو تمام إلى هذا البيت الأخير، فقال:

تكن له معه أي وقفة رغم كثرة نماذجه. =

= وقد كشف الشيخ عن غايته من هذه القضية، ومن تعديد نماذج الضربين، وتتلخص في أن إبداع الشاعر لا يكون في اللفظ لذاته، وإنما يكون في صورة المعنى وكيفية التصرف فيه، وأن صورة المعنى إذا اختلفت عند أحد الشاعرين ترتب عليها حتمًا خصوصية في المعنى لا تكون عند الشاعر الآخر، وبهذا ينبغي أن نعيد النظر في قولنا: «إنَّ الشاعرين قد قالا في معنى واحد»، فإن المعنى الواحد لا يظل واحدًا طالما تعددت صوره عند أكثر من شاعر.

(١) هو عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفى في سنة ٣٢٤هـ في مقدمة كتابه «الألفاظ الكتابية».

(٢) وبهذا ينحصر نقد الشيخ قولهم ذاك في أمرين:

الأول: أنه يفصل بين اللفظ والمعنى؛ إذ يتصور أن يكون المعنى عاريًا من اللفظ، فيأتي شاعر ليكسوه لفظًا من عنده. الثاني: أنه يجعل الآخذ أحق بالمعنى المأخوذ لمجرد أنه ركب عليه لفظًا من عنده من غير أن يذكروا لهذا اللفظ صفة وفضيلة تجعل الآخذ جديرًا بأن ينسب المعنى له، وهو إنما يكون أحق بالمعنى إذا أحدث فيه صورة تضفي عليه خصوصية لم تكن عند المأخوذ منه.

لقد زدْتَ أوضاحي امتدادًا ولم أكن ... بهيمًا ولا أرضى من الأرض مَجْهَلا [١]
ولكــن أيــادٍ صــادفتني جِســامُها ... أغَــرَّ أوفــتْ بي أغَــرَّ مُحَجَّــلا

وفي كتاب «الشعر والشعراء» للمرزباني فصل في هذا المعنى حَسن قال: ومن الأمثال القديمة قولهم: «حَرًّا أخاف على جاني كَمْأَة لا قُرًّا»[٢]، يضرب مثلاً للذي يخاف من شيء، فيسلم منه ويصيبه غيره مما لم يخفه، فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

وحذرتُ من أمرٍ فمرَّ جانبي ... لم يَلْقَني، ولقيتُ ما لم أحْذَر

وقال لبيد:

أخشى على أَرْبَدَ الحتوف ولا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ [٣]

قال: وأخذه البحتري فأحسن وطغى اقتدارًا علي العبارة واتساعًا في المعنى فقال:

---

(١) يلتقي أبو نخيلة مع أبي تمام في أن لكلٍّ منهما ذكرًا حسنًا، وأن للممدوح فضلاً في إظهاره والزيادة عليه، لكن أبا تمام أخذ هذا المعنى، فكساه صورة جديدة؛ إذ استعار لنفسه صورة الفرس الذي كانت بجبهته غرة تدل على الأصالة، وقد ازدادت تلك الغرة اتساعًا بالرعاية والعناية وحسن الصحبة، وهذه الصورة أضفت على المعنى خصوصية لم تكن في بيت أبي نخيلة، هي التنبيه إلى أصالة الشاعر، «ولم أكن بهما»؛ لأن البهيم من الخيل ما ليس في جبهته غرة تدل على الأصالة، ولكن صحبة الممدوح ساعدت على بروز نباهته واتساع شهرته، وأكد هذا في البيت الثاني بأن تلك الأيادي العظيمة التي صادفت نفسًا طموحةً تلمع مخايلها «أغر» قد زادت من تألقها من كل جانب كما يدل الوصف: «محجلاً» وهو بياض القوائم الذي يؤكد الأصالة، وكل هذا يرشح لاستعارة أوصاف الفرس الأصيل، وقد اعترض بين عناصر هذه الصورة الممتدة بصورة أخرى مؤكدة في قوله: «ولا أرضى -أي: دياري وديار قومي- من الأرض مجهلاً، والمجهل: المفازة التي لا يُهتدى فيها، فهذه كناية عن الشهرة الواسعة والأصالة الذاتية القديمة.
وحاصل هذا أننا لا نقول: إن أبا تمام أخذ معنى أبي نخيلة، فكساه لفظًا من عنده، ولكن نقول: إنه أخذ معناه، فركب عليه صورة جديدة أحدثت فيه مزية وخصوصية لم تكن، وبهذا فأبو تمام أحق بالمعنى بما أبدع فيه من تصوير.
(٢) الكمأة: ثمرة تنضج في الشتاء والبرد، والأصل أن يخشى على الذي يجنيها من البرد، لكن لما يتكبده من مشقة وتعب يؤدي إلى حرِّه وعرقه، قيل هذا وصار مثلاً يضرب للذي يخشى شيئًا فيسلم منه ويصيبه غيره.
(٣) أربد هذا الذي ورد في البيت هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه، وقد أهلكته صاعقة مع طلوع نجمين لم يألف الناس نزول الصواعق معهما وهما السِّماك والأسد، وكان ذلك انتقامًا منه لمجادلته رسول الله ﷺ في ذات الله وكلامه بما لا يليق وما كاد يمضي حتى نزلت صاعقة عليه فأحرقته، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وانظر التفسير الكبير للرازي (١٩/ ٢٧)، ويقصد لبيد أنه خشي عَلى أخيه كل ما يؤدي إلى حتفه إلا شيئًا واحدًا لم يتوقعه، فكان منه الهلاك وهو نوء السماك والأسد.

لـو أَنَّنـي أَوفِي التجـارب حقَّهـا   فيها أَرَتْ لَرجوتُ ما أخشاه[١]

وشبيه بهذا الفصل فصل آخر من هذا الكتاب أيضًا، أنشد لإبراهيم بن المهدي:

يا مَنْ لقلبٍ صِيغ مـن صـخرةٍ   في جسـد مـن لُؤلُـؤ رَطْـبِ[٢]

جَرحْـتُ خدَّيْـه بِلَحْظِـي فـما   بَرِحْـتُ حتـى اقـتص مـن قلبـي

ثم قال: قال علي بن هارون: أخذه أحمد بن أبي فنن معنًى ولفظًا فقال:

أدميْـتُ باللحظـات وَجْنتـهُ   فـاقتصَّ نـاظِرُهُ مـن القلـب

قال: ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه قد صار أولى به.

---

(١) تشترك الأبيات الثلاثة في أصل المعنى وهو التعجب من المفارقة الشديدة بين نجاة الإنسان مما يخشاه وإصابته مما لا يخشاه، ولكن هذا المعنى في المثل وفي البيت الأول والثاني سافر والمفارقة فيها جميعًا ظاهرة؛ إذا تعتمد على الإثبات والنفي الذين يؤديان إلى تلك المفارقة، حتى جاء البحتري فكساه ذلك المعنى صورة جديدة لا تعتمد على ما اعتمد عليه سابقوه من الإثبات والنفي، ولكنها تتضمنها وتشير إليهما؛ لأن معناه: إن التجارب قد كشفت لمن يُحسن التبصُّر عن غرائب الأمور، ولو أني أعطيها حقها من الاعتبار لرجوت ما كنت أخشاه؛ لأن ما خشيته لم يصبني كما أصابني الذي لم أخشه، وقد غلف هذا المعنى بصورة مثيرة؛ إذ شخص التجارب وجعلها إنسانًا يُرى الشاعر ويطلعه على عجائب ما يقع، لكن الشاعر لم ينتبه لذلك، فإنه يتندم ويتلوَّم؛ لأنه لم يوف التجارب حقها من النظر والاعتبار.

(٢) يصف المحبوب بالجمال المتمنع، فكنَّى عن التمنُّع بهذا التشبيه الضمني الدال على القوة: «قلب صيغ من صخرة»، وكنَّى عن الجمال في الشطر الثاني بتشبيه ضمني آخر؛ لأنه يعني تشبيه الجسد باللؤلؤ في الصفاء والبياض، ثم احترس فوصف اللؤلؤ وصفًا يزيل عنه الشدة، ويجعله رطبًا لينًا، وهنا تبدو المفارقة بين الظاهر الجاذب والباطن الطارد.

والشاهد في البيت الثاني؛ حيث يشترك مع بيت ابن أبي فنن في المعنى والتصوير بداية من النظرة الفاحصة التي جعلت المحبوبة تخجل حتى تدفق الدم إلى خدها، وكأنه قد جرح أو أدمي، ثم كان رد المحبوبة عليه بنظرة كالسهام الذي أصاب قلبه فتخيل أنها بذلك تقتص مما أصابها في خدها، وكل ذلك تخييل بعد تخييل بواسطة الكناية والتمثيل.

فالمعنى في البيتين واحد والصورة واحدة تقريبًا، ولكن ابن أبي فنن تصرف في عبارته ونظمه تصرفًا حسنًا؛ إذ قال: «أدمت»، وهي أدق في الدلالة على حمرة الخد بسبب اللحظ، وقدم سبب الإدماء وهو اللحظ مجموعًا وأخر المفعول، فقال: «أدميت باللحظات وجنته»، وهو أَنْقَى نظمًا وأسلس عبارة من «جرحت خديه بلحظي »، ثم إن ابن أبي فنن جعلها أسرع قصاصًا بواسطة الفاء التي أغنت عن جملة كاملة في قول ابن المهدي: «فما برحت»، وصرَّح بأداة الاقتصاص، وهي نظرتها ليكون قصاصًا عادلاً.

وهذا ضرب من التصرف غير ما سبق؛ لأن ما سبق كان نقلاً للمعنى الساذج إلى معنى مصور، وهنا نقل للمعنى المصور إلى مثله مع التصرف في النظم بما يجعله أنقى وأسلس وأدق في المعنى.

obeikandl.com

ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ، ولكن صورةً وصفةً وخصوصية تحدث في المعنى، وشيئًا طريق معرفته -على الجملة- العقل دون السمع، فإنه على كل حال لم يقل في البحتري أنه «أحسن فطعن اقتدارًا على العبارة من أجل حروف «لو أنني أوفي التجارب حقها».

وكذلك لم يصف ابن أبي فنن بنقاء العبارة من أجل حروف «أدميت باللحظات وجنته»[(١)].

[صورة المعنى تختلف من كلام إلى آخر بحسب طريقة النظم وتوخي معاني النحو].

وجملة الأمر أنه كما لا يكون الذهب والفضة خاتمًا أو سوارًا أو غيرهما من أصناف الحلي بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلامًا وشعرًا من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه.

فإذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من أن يَعْمِد إلى بيت، فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها[(٢)] إلا أن يُسترك عقله، ويستخف[(٣)]، ويعد معد الذي حكى أنه قال: «إني قلت بيتًا هو أشعر من بيت حسان، قال حسان»:

يُغْشَون حتى ما تهرُّ كلابُهم ... لا يسألون عن السواد المقْبِلِ

---

(١) هذا من باب الاستئناس بكلام المرزباني، فيقول عبد القاهر: إنه لم يثن على شعر البحتري «لو أنني أو في التجارب... » من أجل حروفه، ولم يثن على شعر بن أبي فنن من أجل أصواته، ولكن لأن كلا منهما أحدث في المعنى صورة لم تكن، والصورة هنا متسعة المفهوم، فتتناول طريقة تشكيل المعنى وتصويره.

(٢) كأن ينظر أحد إلى بيت الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

فيقول:

ذر المفاخر لا تذهب لمطلبها ... واجلس فإنك أنت الآكل اللابس

فهذا مما لا يعتد به، ولا يكون جديرًا بالنظر فيه والموازنة بينه وبين ما أخذ منه؛ لأن صورة المعنى لم تختلف والنظم هو هو، ولم يُبْذَل الجهد الذي يقتضيه النظم من التفكير والتدبر والتخير وترتيب الكلمات في النفس وفق معاني النحو... إلخ، وإنما جاء بكلمات مرادفة لكلمات الحطيئة سارقًا نظمه وفكره، [راجع: دلائل الإعجاز، ت شاكر ٤٨٧].

(٣) يسترك عقله ويستخف: أي يُعد ركيكًا خفيفًا ليس له وزن.

وقلت:

يُغْشَـون حتـى مـا تهـرُّ كلابهـم　　　　أبــدًا ولا يَسَــلُون مــن ذا المقبــل

فقيل: هو بيت حسان، ولكنك أفسدته.

واعلم أنه إنما أُتِيَ القوم من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء في اختلاف العبارتين على المعنى الواحد، وفي كلامهم في أخذ الشاعر من الشاعر، وفي أن يقول الشاعران على الجملة في معنى واحد[١]، وفي الأشعار التي دونوها في هذا المعنى ولو أنهم كانوا أخذوا أنفسهم بالنظر في تلك الكتب، وتدبروا ما فيها حق التدبر لكان يكون ذلك قد أيقظهم من غفلتهم، وكشف الغطاء عن أعينهم.

[أمثلة للمعنى الواحد الذي تتعدد صوره عند الشعراء وهي قسمان:]

وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد، وهو ينقسم قسمين:

قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجًا، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب.

وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع المعنى وصوَّر.

وأبدأ بالقسم الأول الذي يكون المعنى في أحد البيتين غفلاً، وفي الآخر مصورًا مصنوعًا[٢]، ويكون ذلك إما لأن متأخرًا قصر عن متقدم، وإما لأَنْ هُدِي متأخر لشيء لم يهتد

---

(١) توالي عطف هذه الجمل للتفسير وليس للتغاير، فهذه الجمل الثلاث تدور حول فكرة واحدة؛ لأن أخذ الشاعر من غيره يؤدي إلى اختلاف العبارة عن المعنى الواحد في الغالب، وتلك الفقرة تتضمن أمور:
- أن صورة المعنى إنما تختلف من كلام إلى كلام آخر بحسب طريقة كل شاعر في نظمه، وذلك في الأخذ الذي يعتد به.
- أن القوم الذين لا يرون النظم إلا ضمًا للألفاظ قد وقعوا في هذا الظن من قلة نظرهم في كتب القدماء التي تحدثت عن صور الأخذ عند الشعراء، فإن في تعليقات تهم ما يدل على أن اختلاف العبارة والصورة ناشئ عن خصوصية في المعنى، ومن هذه الكتب الوساطة، والموازنة، والإبانة عن سرقات المتنبي إلخ...
- وكلام الشيخ يتضمن الثناء على كتب القدماء التي توفرت بعناية فائقة على هذا الموضوع، والحق أن قضية الأخذ والسرقات من أنضج القضايا النقدية المحسومة عند القدماء.

(٢) في هذا القسم يعيد عبد القاهر صياغة الفكر النقدي عند المتقدمين في ضوء رؤية جديدة مستنبطة =

يهتد إليه المتقدم، ومثال ذلك قول المتنبي:

بئس الليالي سَهِدتُ من طربي شـوقًا إلى مَـن يبيـتُ يرقُـدها

مع قول البحتري:

ليلٌ يصادفني ومرهفة الحَشَا ضـدَّين: أسـهره لهـا وتنامُـه (١)

وقول البحتري:

ولـو ملكـتُ زَمَاعًـا ظـلَّ يجـذبني قـوْدًا لكـان نـدى كفَّيـك مـن عُقُـلي (٢)

مع قول المتنبي:

وقيـــدتُ نـــفسي في ذَراك مَحبـــةً ومَـن وَجَـد الإحسـان قَيـدًا تقيّـدا (٣)

=

= من واقع الشواهد، ويفهم من كلامه «ويكون ذلك إما لأن متأخرًا قصر...» أنه لا يعنيه الأخذ من جهة المقدار والكم أي مقدار ما عند الشاعر من اتباع أو اختراع وقياسه إلى غيره من الشعراء، وإنما كان يعنيه كيفية أخذ الشاعر، وهل قصر عن سابقه أو أجاد، أي أن مقياس حكمه في هذا الموضوع ليس مقدار ما أخذه الشاعر، ولكن كيف أخذ، وهذه نظرة متطورة في مجال البحث النقدي لقضية السرقات، وهي تدفع الشعراء إلى الإجادة فيما يأخذون دون تحرج من الأخذ في ذاته.

(١) المعنى الذي يشترك فيه البيتان هو الشكوى والألم من تباين حال المحب مع المحبوب، فالمحب يقطع الليل سهادًا وشوقًا، وهي تنامه ملء جفونها، والمتنبي يظهره ضجره ابتداءً بأسلوب الذم، لكن كلمة «طربي» لا تتفق مع هذا الذم، ولا تنسجم مع السهاد والشوق، مهما كان تأويلها، ولو قال: «سهدت من ألمي شوقًا...» لكان أوفق.

أما صورة البحتري، فتتميز بالنص على الصفة التي كانت سبب استحضار صورتها مقترنة بالليل، فهي «مرهفة الحشا»، وفي الشطر الثاني ذكْرٌ للمعنى مرتين: بالإجمال والتفصيل، وفيه إثارة وتشويق وتوضيح بعد إبهام، وفيه مجاورة الضدين مما يدعو للتعجب، وفيه تعدي الفعل إلى مجرور مشحون بالمعاني في «لها»؛ لأنه يتناول التذكر والحنين والشوق والألم، فهو يفيد أكثر مما يفيده كلمة «شوقًا» في بيت المتنبي.

(٢) يعني: أن الرحيل تراودني دواعيه بقوة، ولو ملكت عزمًا يمنعني من الرحيل لكان جودك من «عقلي» أي: من القيود التي منعتني، وهو جمع عقال، والعقال حبل يربط به البعير ليمتنع من الانطلاق، وهذه الاستعارة تشي بأنه لم يكن راغبًا في المكث لولا جود الممدوح الذي صار قيدًا من القيود الآسرة.

(٣) الذُّرى بفتح الراء: كل ما يُحتمى به، والمعنى المشترك بين البحتري والمتنبي أن جود الممدوح كان قيدًا يمنع الشاعر من الرحيل، لكن الجود عند البحتري كان سببًا من الأسباب وقيدًا من القيود التي منعته، لكن الجود عند المتنبي كان هو السبب الوحيد، على أن صياغة البحتري تشي بأن قيده ومنعه كان حَرَجًا من جود ممدوحه، لكن المانع عند المتنبي هو المحبة، ثم يتميز المتنبي بالتعليل للرضا بالقيد في: «ومن وجد الإحسان قيدًا»، وهو مما يجري مجرى المثل، كما تميز بالصياغة السلسة السهلة التي تناسب تألق المعنى وقوة

وقول المتنبي:

يُعطيـك مُبْتـدرًا فـإن أعْجَلْتَـه ... أعطـاك مُعْتـذرًا كمـن قـد أجرمـا

مع قول أبي تمام:

أخو عَزَماتٍ فعلُه فعلُ مُحْسِنٍ ... إلينـا ولكـنْ عُـذرُه عُـذْرُ مُـذْنبِ(١)

وقول المتنبي:

كـريم متـى استُوهبْتَ مـا أنـتَ راكـبٌ ... وقـد لَقِحَـتْ حـربٌ فإنـك نـازل(٢)

مع قول البحتري:

ماضٍ على عزمه في الجود لو وهبَ الشَّـ ... ـبابَ يـوم لقـاء البـيضِ مـا نـدما

وقول أبي تمام:

الصُّـبح مشـهور بغـير دلائـلٍ ... مِـنْ غـيره ابتُغِيَـتْ ولا أَعْـلامِ

مع قول المتنبي:

الإحساس، ومن الشاهدين السابقين يتبين أن المتنبي أخذ من البحتري، فقصر عنه تارة وتفوق تارة.

(١) من المعروف أن المتنبي أخذ من أبي تمام، والفرق بينهما أن المعنى عند أبي تمام أشمل، فهو يمدح بكل ما يدل على الهمة والنخوة والنجدة والجود كما يدل على ذلك قول: «فعله فعل محسن» بدل كرمه أو جوده... إلخ، ثم إن اعتذاره لم يكن لأن أحدًا تعجله، ولكن ربما شعر هو بالإبطاء، فيعتذر اعتذار المذنب، أما المتنبي، فقد خصص هذا المعنى في العطاء، واقتصر على وصف الممدوح بالمبادرة في هذا، وفَاتَه الوصف بالإحسان الذي نص عليه أبو تمام، ثم إن المتنبي عرض نفسه للمهانة بالتعجل في السؤال، وفي تعجل السائل قدح في المسئول؛ لأنه أمهله وأبطأ عليه حتى ألجأه إلى التعجل.

(٢) يمدح سيف الدولة بالكرم الذي يتضمن الجرأة والشجاعة، وقد صرَّح بكرمه ابتداء في جملة موجزة حذف أحد ركنيها، فصارت كلمة واحدة تقول مقام الدعوى التي قطع عندها الكلام -كريم- ثم استأنف بالبرهان الدال على تلك الصفة، فلو سأله أحد فرسه الذي يسعى للقتال عليه لنزل فورًا وأعطاه من يطلبه، ويتضمن هذا جرأته؛ لأنه سيسعى للقتال راجلاً.

وقد أخذ البحتري هذا المعنى في صورة أكثر تألقًا؛ إذ مزج بين الوصفين، فجعل التضحية بالنفس ضربًا من الجود، وأنه وليد عزم صدق ظل يرتقي من الجود بالمال حتى انتهى إلى الجود بالنفس والشباب، وهو أزهى فترات الحياة من غير ندم أو تردد، وفي البيت ضرب من التناسب والتناغم في القوة والهمة بين «ماضٍ على العزم» و«يوم لقاء البيض»، و«ما ندما»، وشتان بين مَن يجود بما يركب ومَن يجود بنفسه وشبابه.

ولـيس يَصـحُّ في الأفهـام شيءٌ … إذا احتـــاج النَّهـــار إلى دليـــل[١]

وقول أبي تمام:

وفي شرف الحديث دليلُ صـدق … لمختـــبرٍ عــــلى الشَّرف القـــديم

مع قول المتنبي:

أفعالـــهُ نســـبٌ لـــو لم يقـــل معهـــا … جَـدِّي الخصـيبُ عَرَفنـا العِـرْقَ بالغُصْـنِ[٢]

وقول البحتري:

وأحـبُّ آفـاق الـبلاد إلى الفتـى … أرضٌ ينـال بهـا كـريمَ المطْلَـبِ

مع قول المتنبي:

وكلُّ امرئ يُولي الجميل محبّبٌ … وكل مكان يُنْبتُ العزَّ طيبُ[٣]

وقول خالد الكاتب:

---

(١) كل من بيت أبي تمام وبيت المتنبي من التمثيل في عقب المعنى، والمعنى الذي يمثل له أبو تمام هو = مدح الخليفة الواثق والدفاع عن حقه في الخلافة، وكان هناك من يشكك في ذلك؛ لأن أمه كانت جارية، ولكن نجابته وحسن سيرته وعظيم أفعاله كانت جميعًا ترشحه وتؤهله للخلافة، راجع ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج ٣ ص ٢٠٣ تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف ط أما المتنبي، فكان يحتج لقوة شاعريته، وأنها لا تخفى إلا على سقيم العقل، فنقل معنى أبي تمام من مجال إلى مجال آخر، وطوَّر في صورة المعنى؛ إذ لم يكتف كأبي تمام في التمثيل بالصبح الذي لا يحتاج إلى دليل، ولكنه جعل من يطلب الدليل على شاعريته كمن يطلب دليلاً على وجود النهار، ولا يكون ذلك إلا من عُدم التفكير، فلا يُعبأ به ولا يلتفت إليه، وتفوق المتنبي يرجع إلى توهج الإحساس؛ لأنه يدافع بحرارة عن شيء يمس أعز ما كان يعتد به ويفتخر.

(٢) بيت أبي تمام أسلس نظمًا، لكن بيت المتنبي أوعى وأغزر معنى، فالأفعال عنده هي التي تدل على الأصالة، وليس مجرد الأقوال كما جاء في بيت أبي تمام، وقد عرض المتنبي المعنى مرتين: مرة بالتشبيه والتقرير في جملة موجزة: «أفعاله نسب»، ومرة بالتمثيل في: «عرفنا العرق بالغصن» أي: عرفنا الأصل من الفرع الدال عليه، وكان المتنبي يمدح محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي القاضي الأنطاكي، وكان جده الخطيبي الخصيبي معروفًا بالوجاهة وحسن الوفادة والجود راجع ديوان المتنبي ١٧٠ دار صادر بيروت.

(٣) المعنى في بيت البحتري تقريري عادي لا غرابة فيه، وهو يعني أن أحب البلاد إلى الفتى أرض ينال بها ما يريد، لكن المتنبي جعل الارتباط بالناس وبالمكان وليس بالمكان حسب، فالقلوب طبعت على حب من يسدي إليها جميلاً، ثم خيل أن العز ينبت في المكان الذي يكون محلا للجود حتى جعل للعز صورة النبات والزهر الجميل، ووازن بين العروض والضرب بلفظين بينهما من الألفة والانسجام والتوازن الإيقاعي ما لا يخفى على ذي بصيرة فنية «محبب وطيب».

رقـــدتَ ولم تَـــرْثِ للســـاهر ... وليـــل المحـــبِّ بـــلا آخـــر

مع قول بشار:

لخـدِّك مـن كفيـك في كـل ليلـة ... إلى أن تـرى ضـوء الصـباح وسـادُ
تبيتُ تُراعي الليـل ترجـو نفـادَهُ ... ولـيس لليـل العاشـقين نَفَـادُ[1]

وقول أبي تمام:

لـئن كـان ذنبـي أن أَحْسَـنَ مَطْلبـي ... أساء ففي سوء القضاء لِيَ العُذْرُ[2]

مع قول البحتري:

إذا محاسـني الـلّاتي أَدلّ بهـا ... كانـت ذنـوبي فقـل لي كيـف أعتـذرُ

وقول المتنبي:

يُقـرُّ لـه بالفضـل مَـن لا يَـوَدُّه ... ويـقضي لـه بالسَّـعد مَـنْ لا يُـنَجِّمُ

مع قول البحتري:

لا أدَّعـي لأبي العـلاء فضـيلةً ... حتـى يُسَـلِّمها إليـه عِـدَاهُ[3]

---

(١) يدور بيت خالد وبيتي بشار حول طول ليل المحبين، ومع أن بيت خالد أسلس نظمًا وأقل لفظًا وأغزر معنًى؛ لأنه قابل بينه في سهره يتلظى وبين حبيبه الذي رقد ملء جفونه لا يأبه بالساهر ولا يرثي له، فإن شعر بشار مع هذا أجود لأن فيه متابعة دقيقه للحالة الوجدانية للعاشق والصورة الدالة عليها بتفاصيلها التي تثير الأسى؛ إذ يتخذ من كفيه وسادًا لخديه في كل ليلة إلى أن يظهر ضوء الصبح الذي يطول انتظاره بعد ليل يبيت يراعيه ويرجو نفاده، وليل العاشقين ليس له نفاد، وهو يقصد نفسه وترجيح عبد القاهر شعر بشار ينسجم مع مذهبه النقدي في عد الشعر جنسًا من التصوير المؤثر.

(٢) يدور بيت أبي تمام وبيت البحتري حول حصول الإساءة من الجهة التي كان يتوقع منها الإحسان، وكل منهما ينفي عن نفسه التقصير بصياغة واحدة هي الشرط وجوابه، لكن أبا تمام يعتذر بسوء الأقدار والصدمة عند البحتري كانت أقوى؛ لأنه أصيب في المحاسن اللاتي يدل بها ويتيه مما جعله يتوقف مندهشًا متحيرًا كيف يعتذر خشية أن يحسب عليه الاعتذار أيضًا، فقد أصبح يتشكك في كل ما يصدر منه، وهو معنى لطيف منسجم مع سياقه.

(٣) بيت البحتري أسلس نظمًا، وهو تفصيل بارع للشطر الأول من بيت المتنبي، ويعني أن فضله من الظهور بحيث يقرُّ العدو، فما بالك بالصديق، أما الشطر الثاني عند المتنبي فيعني معنى آخر هو أن أمارات سعده وصعود نجمه بادية لكل ذي بصر، فليست مستورة تحتاج إلى منجم يكشف عنها، والعبرة عند عبد القاهر فيما يبدو ليست بكثرة المعنى، ولكن بحسن الصياغة وبراعة التشكيل ولو كان المعنى أقل كما عند البحتري.

وقول مَعن بن أوس:

إذا انْصرفَتْ نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجهٍ آخر الدَّهر تُقْبل

مع قول العباس بن الأحنف:

نقلُ الجبالِ الرواسي مِن أماكنها ... أخفَّ مِنْ ردِّ قلبٍ حين ينصرفُ[1]

وقول جرير:

بَعْثن الهوى ثم ارْتَمَيْنَ قلوبنا ... بأسْهُمِ أعداءٍ وهُنَّ صديقُ[2]

مع قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ ... له عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

وقول كُثير:

إذا ما أرادتْ خُلَّةٌ أن تُزيلنا ... أَبَيْنَا وقلنا الحاجبيَّةُ أَوَّلُ[3]

مع قول أبي تمام:

نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ مَن الهوى ... ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوّلِ

---

(١) يلتقي العباس مع معن في أن النفس إذا انصرفت عن شيء لم تعد إليه أبدًا زهدًا فيه، لكن ابن أوس أكد هذا المعنى بالتأبيد الزمني «آخر الدهر»، وأكده العباس بالتشبيه الضمني التمثيلي المبالغ والذي يجعل العودة إلى الشيء بعد الزهد فيه والانصراف عنه ضربًا من المحال مثل نقل الجبال الرواسي، وهي صورة تعكس كثيرًا من الإصرار والقوة والعزيمة.

(٢) يعتب جرير في مرارة على أحبته؛ لأنهن حركن الساكن من الهوى وبعثنه في القلوب، ثم رمين تلك القلوب على غفلة كرمي الأعداء في قسوة مع أنهن صديق، فجملة «وهن صديق» فيها ما فيها من المفارقة والمفاجأة والعجب والدهشة، ويقصد أنه خدع في ظنه منهن الأمان فكانت الرمية مسددة قاتلة لعدم أخذ الحذر، وفي بيت جرير حسن، لكن أبا نواس برع في نقل فحوى بيت جرير إلى مجال آخر هو خداع الدنيا وظهورها على غير حقيقتها، فهي عدو يمعن في التحفي ولباس ثياب الصديق، فلا يكشف حقيقتها إلا لبيب، والبراعة هنا في نقل المعنى من مجال إلى مجال آخر، وفي صياغة عامة حتى صار مثلاً.

(٣) يقصد كثير: إذا عمدت خليلة إلى زحزحته عن حبه الأول تشبث هو به، ولم ير بأسًا من إعلان وفائه للحاجبية- عزة- وهو لا يعدل عن حبه الأول.

وقد نجح أبو تمام في صياغة المعنى صياغة عامة حتى صار مثلاً يضرب، وأنه لو سمح لقلبه أن يتنقل، فسيجد نفسه في النهاية مشدودًا للحب الأول. وصياغة المعنى بالنفي والاستثناء في الشطر الثاني يدل على أن ما سواه عبث ولهو.

وقول أبي تمام:

فَنَعِمتِ من شَمْسٍ إذا حُجِبتْ بَدَتْ ... مـن خـدرها فكأنهـا لم تُحْجَـبِ[١]

مع قول قيس بن الخطيم:

قضى لهـا اللهُ حـين صـوَّرها الـ ... ـــخالق أن لا يُكِنُّهـــا سَـــدَفُ

وقول المتنبي:

راميـاتٍ بأسـهمٍ ريشُـها الهـد ... بُ تشـقُّ القلـوب قبـل الجلـود[٢]

مع قول كُثير:

رَمَتْني بسهم ريشُهُ الكُحل لم يَجُزْ ... ظواهرَ جلدي وهو في القلب جارحُ

وقول بعض شعراء الجاهلية ويُعزى إلى لبيد:

ودعـوتُ ربي بالسـلامة جاهـدًا ... ليُصـــحَّني فـــإذا الســـلامة داءُ

مع قول أبي العتاهية:

أَسْرَعَ في نَقْـص امـرئٍ تمامُـه ... تُـــدْبرُ في إقبالهـــا أيَّامُـــهُ[٣]

---

(١) وصف أبو تمام محبوبته بالجمال الأخاذ، فجعل لها شعاعًا نافذًا لا يمنعه حجاب، فاستعار لها الشمس التي لا يحجب ضوءها سحاب ما وتقدير الصورة بأسلوب المدح يدل على امتلاء نفسه بحسنها.

وبيت قيس أنفذ وأغرب وأشد في ثبوت تلك الصفة لمحبوبته؛ لأنها نتيجة قضاءٍ مبرم قضاه لها الله، ونتيجة تصوير مبدع من الخالق ﷻ، والسدف: الظلام، و«لا يكنها سدف» يعني أن نورها أقوى من الظلام فيقهره، ولا يكون كذلك إلا القمر، فإذا كان أبو تمام جعل محبوبته شمسًا، فقد جعل ابن الخطيم محبوبته قمرًا لا يمنع الظلام نوره، وزاد صورته جلالاً وغرابةً بجعل ذلك عنده قضاء مبرمًا وتصويرًا مبدعًا.

(٢) لما استعار المتنبي الأسهم للأعين الساحرة المؤثرة جعل الهدب ريشها لتكون أشد تأثيرًا وإصابة، وكانت من سرعة تأثيرها حتى شقت القلوب قبل الجلود، فكأنها تصيب الداخل أولاً ثم يظهر أثر الإصابة تاليًا.

وكذا جعل كثير، فلما جعل النظرة الساحرة المؤثرة سهمًا جعل ريشه الكحل، وقول المتنبي أوجز وأسلس وأمضى في شق القلوب قبل الجلود، لكن قول كثير أدعى للعجب والغرابة؛ لأنه أدمى قلبًا مجروحًا وهو لم يجز الجلد.

(٣) يجمع بين هذا البيت والذي قبله: فقدان لذة العيش مع تقدم العمر، ومهما كان في الكبر من دعة وسلامة وتمام، فإن فيه إحساسًا بالقلق والخوف من النهاية، ويكمن حسن بيت لبيد فيما فيه من مفارقة ومفاجأة في قوله: «فإذا السلامة داء»، ويكمن حسن بيت أبي العتاهية في أن جعل إقبال الأيام إدبارًا لها، للتحول

وقوله:

أَقْلِلْ زيارتك الحبيبَ تكون كالثوب استجدَّه
إن الصديق يُملَّهُ أن لا يزالَ يراك عِنْدَه

مع قول أبي تمام:

وطول مُقَامِ المرء فِي الحيِّ مُخْلِقٌ لديبَاجَتَيه فاغتربْ تتجدَّد[1]

وقول البحتري:

أَلَمْ تَرَ للنوائب كيف تسمو إلى أهل النوافل والفضول

مع قول المتنبي:

أفاضلُ الناس أغراضٌ لذا الزمن يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفِطَنِ[2]

وقول المتنبي:

تذلَّلْ لها واخضَعْ على القرب والنوى فما عاشق مَن لا يَذِلَّ ويخضعُ

للتحول إلى الضعف المؤذن بالفناء، والغرابة هنا في جعل الأيام مقبلة مدبرة معًا، وقد تحول أبو تمام بالمعنى من التجربة الفردية إلى التجربة الجماعية المتصلة بالحكمة والعبرة في قوله:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرن بطيب العيش إنسان

(١) عكس أبو تمام المعنى قبله؛ إذ بدأ بما انتهى به السابق وهو أثر طول مقام المرء أو الصديق، وكساه أبو تمام صورة استعارية في «مخلق لديباجتيه»، فهو في الأصل وصف للثوب الحسن الرونق إذا قَدُم وبلي، وتثنية الديباجة بالنظر إلى الحسن والحياء معًا، ثم أنهى البيت بما بدأ به السابق مع تجريره من ذلك التشبيه وإيجازه إيجازًا حسنًا في «فاغترب تتجدد»، ويزيد حسن بيت أبي تمام وصله بالتمثيل بعده:

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

(٢) يدور البيتان حول كون أفاضل الناس عرضة لنوائب الزمن دون غيرهم، وبيت البحتري فيه حسن يكمن في تتابع الاستفهام المشحون بالدهشة والاستغراب من تلك النوائب التي تترك أسافل الناس وتسمو لأفاضلهم من أهل الصلاح، لكنه اقتصر ذكر سموها لأهل النوافل، فدل ضمنًا على تركها للرعاع.

وبيت المتنبي أبين في الدلالة على تلك المفارقة الغريبة؛ إذ قابل صراحة بين تلك الحالين الغريبين أي: رمي الزمان لأفاضل الناس وتركه عوامهم ينعمون، وإذا كان البحتري قد صور النوائب وهي تسمو وترقى فقد صور المتنبي الزمن في صورة خصم يصوب سهام بلائه عمدًا للأفاضل حتى صاروا أغراضًا له من دون سائر الناس، وقد انسجمت لغته ومواقع كلماته مع اهتماماته، والتوازن واضح بين العروض والضرب وبين «يخلو» و«أخلاهم».

مع قول بعض المحدثين:

كـــن إذا أحببــت عبـــدًا   للــــذي تهـــوى مُطيعــــا
لــن تنـــال الوصـــل حتـــى   تُلـــزم الـــنفس الخُضُـــوعا[١]

وقول المتنبي:

مظلومة القَدِّ في تشبيهه غُصُنًا   مظلومـةُ الرِّيـق في تشـبيهه ضربَـا[٢]

مع قوله:

إذا نحـــن شـــبَّهناك بالبـــدر طالعًـــا   بَخَسْـنَاك حظّـا أنـت أبهـى وأجمـلُ
ونظلـمُ إن قِسـناكَ بالليـث في الـوغى   لأنـــك أحمـــى للحـــريم وأبْسَـــلُ

[القسم الثاني: في البيتين صنعة وتصوير]

ذِكرُ ما أنت ترى فيه في كل واحد من البيتين صنعةً وتصويرًا وأستاذيةً على الجملة، فمن ذلك وهو من النادر، قول لبيد:

واكْـــذِبِ الـــنفسَ إذا حَـــدَّثْتَها   إن صـدق الـنفْس يُـزْري بالأمـل[٣]

---

(١) تسود لغة التذلل والخضوع ليكون برهانًا على المحبة والعشق في البيتين، لكن المُحْدَث زاد الخضوع بالتشبيه في الشطر الأول، وأضاف في البيت الثاني غاية تتجاوز العشق، وهي بلوغ المنى والوصال، وتلك من معاني الخنوع التي لا تليق بالرجال، والمرأة التي يغرها هذا الخضوع ولا ترضى بالوصل إلا بخضوع الرجل وذله، هي بلا شك مريضة نفسيًّا، والأصل في المرأة التصون والأصل في الرجل التعفف والحفاظ على أباء الرجولة.

(٢) يرى المتنبي قدَّها أتم من الغصن في الاستقامة والليونة، ويرى ريقها أشهى من العسل، لهذا جعل ذلك القد مظلومًا في تشبيهه بالغصن، وجعل الريق مظلومًا في تشبيه بالعسل، لكن الشاعر الآخر يجعل ممدوحه هو المظلوم في تشبيه بالبدر الطالع؛ لأنه أبهى من البدر، ويجعل ممدوحه مظلومًا في تشبيهه بالليث؛ لأنه في دفاعه عن الحريم أبسل من الليث، وهذا هو الفرق الذي من أجله حكم عبد القاهر على المتنبي بالتقصير، يقول في حاشية له على بيت المتنبي: «سبب ما ترى فيه من القصور أن الواجب أن تجعل هي نفسها مظلومة من أجل تشبيه قدها بالغصن، وريقها بالضرب، لا أن يجعل القد والريق مظلومين، ألا ترى أن اللائق أن يقول: إن شبهت قدها بالغصن ظلمتها، ولا يحسن أن يقول: إن شبهت قدها بالغصن ظلمته». انتهى كلامه. وأنا لا أفهم تلك العلة، ولماذا لا يحسن أن نقول: إن شبهت قدها بالغصن ظلمته، إلا أن يكون هذا النقد مبنيًا على مراعاة تقاليد العرب في التشبيه.

(٣) يعني: إذا هممت بأمر عظيم لا تطيقه فلا تتردد وحدث النفس بقدرتك ولو كذبًا؛ لأن صدق النفس بعدم القدرة يؤدي للتأخر وضياع الأمل، ومغزى البيت حث على المغامرة للظفر بالأمر العظيم.

مع قول نافع بن لقيط:

وإذا صـدقْتَ الـنفْسَ لم تـترك لهـا أملاً ويأمُلُ مـا اشْـتهى المكـذوبُ[١]

وقول رجل من الخوارج أتى به الحجاج في جماعة من أصحاب قطري[٢] فقتلهم، ومنَّ عليه ليد كانت عنده، وعاد إلى قطري، فقال لـه قطـري: عـاود قتـال عـدو الله الحجـاج، فـأبى وقال:

أَأُقاتِـلُ الحجـاج عـن سُـلطانه بيـدٍ تُقـرُّ بأنهـا مولاتـهُ[٣]

مـاذا أقـول إذا وقفـتُ إزاءَهُ في الصَّـفِّ واحتجَّـتْ لـه فَعَلاتـهُ

وتَحـدَّثَ الأقـوام أن صـنائعًا غُرِسـتْ لـديَّ فحنظلَـتْ نَخَلاتُـهُ

مع قول أبي تمام:

أَسربلُ هُجْـرَ القـول مَـن لـو هَجَوْتُـهُ إذن لهجـاني عنـه معروفُـه عنـدي[٤]

---

(١) أخذ ابن لقيط معنى لبيد، فقدَّم فيه وأخَّر، فقوله:«وإذا صدقت النفس لم تترك لها أملاً» هـو قـول لبيـد: «إن صدق يزري بالأمـل»، لكـن قـول لبيـد أوجـز وأوكـد وأحكـم في اختيـار لفظـه، وقـول ابـن لقيـط: «ويأمل ما اشتهى المكذوب» هو قول لبيد: «وأكذب النفس إذا حدثتها»، لكـن قـول ابـن لقـيط أبـين في الدلالة على بلوغ الغاية وحصول الأمل، وبهـذا يتفـوق أحـدهما في جـزء مـن المعنـى، ويتفـوق الآخـر في الجزء الثاني، فهما يتكافآن ويتعادلان، واللافت أن البيتين يخلوان من الصور البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية، وقد قال الشيخ قبلهما مباشرة: «ترى في كل واحد من البيتين صنعةً وتصويرًا»، وهذا يدل على أن مفهوم التصور عنده أوسع وأشمل من التصوير البياني المعروف. لقد كان يقصد بالتصوير الأسلوب والنظم وكيفية تخلق المعاني في صورة كلامية خاصة فيها صنعة سواء دخل فيها التشبيه والاستعارة والكناية أم لم يدخل، ولكنه على كل حال كانت لـه عناية خاصة بهذه الألـوان البيانيـة؛ لأنها عنـده الأقطاب التي تدور حولها المعاني. [راجع: أسرار البلاغة].

(٢) هو قطري بن الفجاءة الشاعر المعروف.

(٣) هذه الأبيات حافلة بضروب النظم والتصوير الدالة على قوة الباعث وصدق التجربة ابتداءً بالاستفهام الـدال على استبعاد أن يقاتل الحجاج بيد تعـترف بفضـله وعفـوه، وكـأن يـده تلـك تـبرأ منـه لـو قاتـل، والاسـتفهام في البيت الثاني الدال على التحير والتوقف، وانظر كيف كبرت عنده صنائع الحجاج وفعلاته حتى صـار لها لسـان تحتج، وكيف صارت تلك الصنائع نخلات مغروسة في نفسه بجذور يصعب اقتلاعها، وحنظلـت نخلاتـه: صارت مرة، وهو تمثيل لنكران الصنائع الذي لا يكون من شيم الرجال.

(٤) أسربل: أُلبس، وهجر القول: قبيحه، والمعنى على الاستفهام الإنكاري إذ ينكر عـلى نفسـه أن يهجـو مـن أسدى إليه معروفًا؛ لأنه لو هجاه لكان أول اللائمين العائدين عليه بالذم هي نفسه التي اسـترقها ذلـك المعروف، فهذا البيت يوجز فحوى ما جاء عند الخارجي في ثلاثـة أبيـات، ويتميـز بالتصـوير الـدقيق؛ إذ جعل هجر القول وقبيحه كاللباس القـذر الـذي يلبسـه مـن يُهْجَى، وقـد تشـخص المعـروف ليـدافع =

وقول النابغة:

إذا ما غـزا بـالجيش حَلّقَ فوقـه   عصـائبُ طـير تهتـدي بعصـائب[١]
جــوانحُ قــد أيقــنَّ أن قبيلــه   إذا مـا التقـى الصـفان أَوَّلُ غالِـبِ

مع قول أبي نواس:

تَتَــأَيَّى الطـــيرُ غَدْوَتَـــهُ   ثقـــةً بالشِّـــبْع مـــن جَـــزَرِه[٢]

وحكى المرزباني قال: «حدثني عمرو الوراق قال: رأيت أبـا نـواس ينشـد قصيدته التي أولها»:

أيهـــا المُنْتَـــاب عـــن عُفُـــره[٣]

فحسدته، فلما بلغ إلى قوله:

تتـــأيى الطـــير غدوتـــه   ثقـــة بالشِّـــبع مـــن جـــزره

قلت له: ما تركت للنابغة شيئًا؛ حيث يقـول: «إذا مـا غـدا بـالجيش...» البيتين، فقـال «اسكت، فلئن كان سبق فما أسأت الاتباع»[٤].

= عن صاحبه ويهجو جاحده، وكل هذا على سبيل الاستعارة المكنية.
واللافت أن التفاوت في أداء المعنى بين الإيجاز والإطناب لم يكن من مقاييس الشيخ في الحكم بـدليل أن معنى أبي تمام في بيت واحد مأخوذ من ثلاثة أبيات للخارجي، ومع هـذا لم يحكـم عبـد القـاهر لأبي تمـام بسبب إيجازه، ولكن جعل لكل من هذا وذالك صنعةً وتصويرًا وأستاذيةً كما سبق في تقديمه لكـل هـذه النماذج.

(١) فتن الشعراء بمعنى النابغة، فأخذوه في صور شتى، وأعجب به النقاد لما فيه من دقة النظم والتصـوير، فالظرفية الدالة على الملازمة في «حلق فوقه» تشير إلى يقين الطير بغريزتها من ظفرها بحاجتها مـن جثـث الأعداء، وذلك يعني تكرار نصر الممدوح، وهذه الإشارة تنسجم مع صريح البيت الثاني ناهيـك عـن الصورة التي يرسمها في الخيال قوله: «عصائب طير تهتـدي بعصـائب» إنهـا جماعـات طـير يتبـع بعضـها بعضًا ويهتدي بعضها ببعض، وقد انتشرت في الآفاق تغطي الجيش الغازي الذي اتسعت رقعته.

(٢) يركز أبو نواس على المعنى النفسي عند الطير والـذي رسـخ عنـده مـن العـادة المتكـررة، فإنهـا تتحـرى وترتقب خروجه مبكرًا ثقة بالشبع من جثث أعدائه، وهذا كناية عن ظفره، وكأنه قال: ثقة بانتصاره.

(٣) في هامش المخطوطة بخط كاتبها ما نصه: «يقال: لقيته عن عفـر: أي بعـد شـهر ونحـوه» تعليـق: محمـود شاكر ٥٠٣.

(٤) تعني هذه الجملة اعتراف أبي نواس بسبق النابغة، وأن أبا نواس قد تصرف في المعنى الـذي أخـذه تصرفًا يبعـده عن سوء الاتباع، وقد كان سوء الاتباع عندهم يعني أخذ معنى السابق بلفظه وصورته دون تصرف.

وهذا الكلام من أبي نواس دليل بيِّن في أن المعنى ينقل من صورة إلى صورة، ذاك لأنه لو كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئًا لكان قوله: «فما أسأت الاتباع» محالاً[١]؛ لأنه على كل حال لم يتبعه في اللفظ، ثم إن الأمر ظاهر لمن نظر في أنه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابغة إلى صورة أخرى، وذلك أن ها هنا معنيين:

أحدهما أصل وهو: علم الطير بأن الممدوح إذا غزا عدوًّا كان الظفر له، وكان هو الغالب.

والآخر فرع وهو: طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى.

وقد عمد النابغة إلى الأصل الذي هو علم الطير بأن الممدوح يكون الغالب، فذكره صريحًا، وكشف عن وجهه، واعتمد في الفرع الذي هو طمعها في لحوم القتلى، وأنها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى.

وعكس أبو نواس القصة، فذكر الفرع الذي هو طمعها في لحوم القتلى صريحًا، فقال كما ترى:

ثقـــــة بالشـــــبع مـــــن جـــــزره

وعول في الأصل الذي هو علمها بأن الظفر يكون للممدوح على الفحوى، ودلالة الفحوى على علمها أن الظفر يكون للممدوح هي في أن قال: «من جزره»[٢]، وهي لا تثق بأن شبعها يكون من جزر الممدوح حتى تعلم أن الظفر يكون له.

أفيكون شيء أظهر من هذا في النقل عن صورة إلى صورة؟

***

أرجع إلى النَّسق. ومن ذلك قول أبي العتاهية:

---

(١) يعني لو لم يكن قد تصرف في صورة المعنى وفي لفظه لما كان هناك معنى لقوله: «فما أسأت الاتباع»؛ لأن هذه الجملة تعني نفي أخذ لفظ السابق، وتثبت التصرف في معناه ونقله من لفظ إلى لفظ ومن صورة إلى صورة.

(٢) حاصل هذا أن المعنى الفرعي والأصلي عند أبي نواس يجتمعان في الشطر الثاني من بيته، فالمعنى الفرعي -وهو طمع الطير في لحوم القتلى صريح في قوله: «ثقة بالشبع من جزره»، والمعنى الأصلي وهو علم الطير بأن الظفر يكون للممدوح يفهم ضمنًا من الإضافة له في «جزره».

شِـيَمٌ فَتَّحـتْ مـن المـدح مـا قَـدْ ... كـــان مُســـتغْلِقًا عـــلى المُـــدَّاح

مع قول أبي تمام:

نَظَمـتْ لـه خَـرَزَ المـديح مواهـبٌ ... يَنْفُـثْنَ في عُقَـدِ اللسـان المُفْحَـم[1]

وقول بشار:

الشـيْبُ كُـرْهٌ وكُـرْهٌ أن يفـارقني ... أَعْجِبْ بشيءٍ على البغضـاء مـودُودِ

مع قول البحتري:

تعيـبُ الغانيـاتُ عـليَّ شَـيْبي ... ومَـــن لي أَنْ أَمتَّـــعَ بالمعيـــب[2]

وقول أبي تمام:

يشـــتاقُه مـــن كمالـــه غَـــدُهُ ... وُيِكْثِـرُ الوجـدَ نحـوه الأمْـسُ[3]

(١) يدور البيتان حول خصال الممدوح الفذة، والتي حركت المعقود من الألسنة بالمديح، وقد اختلفت صورة المعنى عند الشاعرين، ولكل منهما ما يميزه، فنظم أبي العتاهية يعكس استعظام تلك الخصال والشيم واللفت إليها بداية بتقديمها والبناء عليها، مع تخصيصها بما بني عليها من الحكم، أي أن تلك الشيم هي وحدها القادرة على فتح ما كان مستغلقًا من معاني المدح عند الشعراء، وها هنا صورة لافتة تجسد معاني المديح وتجعلها أبية متمنعة حتى تفتح تلك الشيم العظيمة أبواب تلك المعاني لتنطلق.

أما أبو تمام، فالحسن كله عنده في بالسطر الثاني الذي يبيِّن كيف نظمت تلك المواهب عقدًا من خرز المديح، فذلك كان بالنفث المتجدد في عقد اللسان المفحم، والنفث في العُقَد كناية عن السحر، وهو منظور فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، والمقصود أن تلك المواهب تعمل عمل السحر في فك المعقود من اللسان لينطلق البيان، لكن ربما أخذ على أبي تمام أنه جعل عُقْد المديح الذي نظمته المواهب من خرز، فماذا يكون الخرز؟

(٢) يدور بيت بشار وبيت البحتري حول كراهية الشيب مع التعلق به، ولكل منها طريقته وخصوصيته، فبيت بشار يعكس المفارقة الشديدة في تلك التجربة الإنسانية التي يعيشها كل من أدركه الشيب، وهي التوزع النفسي بين كره المشيب مع الأنس إليه وكراهية أن يفارقه بالموت، فاستمراره يعني استمرار الحياة، والتعجب في الشطر الثاني يبرز تلك المفارقة من اجتماع شعورين متضادين في قلب واحد وفي آن واحد.

والبحتري يلبس المعنى ثوبًا آخر، فلا يصرح بكُره المشيب، ولكن يذكر سببًا قويًّا دالاً على ذلك، لكنه لما أخفى ذلك الكره وآثر الكناية عنه توارتْ تلك المفارقة التي كانت ظاهرة عند بشار، واكتفى البحتري بإظهار الرضا بالمشيب، بل لقد تمنى -بواسطة الاستفهام- أن يتمتع بذلك المشيب، ولو كان عند الغانيات معيبًا، وفيه رمز لتمني طول عمره.

(٣) هذا البيت يعني انفعال الزمن بكمال خصال الممدوح حتى يعيش معه لحظة بلحظة، فيحزن الأمس، ويشتاق الغد إلى معايشة تلك الكمالات.

مع قول ابن الرومي:

إمـامٌ يظـلّ الأمـسُ يُعمـلُ نحـوه تَلفَّـت ملهـوفٍ ويشـتاقُه الغَـدُ[١]

لا تنظر إلى أنه قال: «يشتاقه الغد»، فأعاد لفظ أبي تمام، ولكن انظر إلى قوله: «**يُعمل نحوه تلفت ملهوف**».

وقول أبي تمام:

لـئن ذمَّـتِ الأعـداءُ سـوء صـباحها فليس يؤدِّي شكرَها الذئبُ والنسرُ[٢]

مع قول المتنبي:

وأَنْبَـتَّ مـنهم ربيـعَ السـباعِ فأثنَـتْ بإحسـانك الشـاملِ[٣]

وقول أبي تمام:

ورُبَّ نـائي المغـاني رُوحُـه أبـدًا لصيقُ روحي ودانٍ ليس بالدَّاني[٤]

مع قول المتنبي:

لنـا ولأهلـه أبـدًا قلـوبٌ تَلاقَـى في جُسُـومٍ مـا تَلاَقَـى[٥]

---

(١) إذا كان الشاعران « أبو تمام وابن الرومي» قد شخصا الزمان وجعلاه ينفعل بكمال الممدوح وتفوقه على أقرانه «إمام» وجعلاه يحزن ويشتاق، فإن البعد النفسي أكثر ظهورًا وتألقًا عند ابن الرومي في «تلفت الملهوف»، وهذا ما استوقف عبد القاهر ونبَّه في لفتة سريعة إلى أن لا ننظر إلى إعادة بعض اللفظ فنعيبه، ولكن ننظر إلى تجديد الصورة بهذا البعد النفس في تلفت الملهوف، وهذه من الوقفات النقدية المضيئة للإمام.

(٢) الشطر الأول كناية عما لحق بالأعداء من شرٍّ باكر، ومعنى البيت: لئن ذمت الأعداء سوء صباحها، فقد أحسنت للذئاب والنسور إحسانًا لا يؤدى شكره من كثرة قتلاهم.

(٣) يعني: بقتلك الأعداء قدمت للسباع معروفًا عاشوا به أمتع وأخصب أيامهم، وكأنك أنبت منهم للسباع ربيع حياتهم حتى لهجت ألسنتهم ثناءً بذلك الإحسان.
وفي هذين البيتين معنيان: الأول ظفر الممدوح بالأعداء وقتلهم، والثاني: ظفر السباع بجثثهم، وقد دلَّ أبو تمام على هذين المعنيين بالإشارة؛ إذ كنى عن الأول بذم الأعداء سوء صباحها، وكنى عن الثاني بعجز الوحوش عن أداء شكرها، وجاء المتنبي فأحسن تقديم المعنيين في تلك الصورة التمثيلية التي تجعل قتل الأعداء حياة خصبة للسباع، وكأن الممدوح أنبت من هؤلاء الأعداء ربيعًا للسباع، ولئن جعل أبو تمام السباع عاجزة عن الشكر، فقد انطقها المتنبي بالثناء.

(٤) يعني أبو تمام: رب بعيد عن العين قريب إلى النفس، فالروحان ممتزجان، ورب قريب من العين بعيد من القلب «ودان ليس بالداني»، وهذه مفارقة تعتمد المقابلة أسلوبًا لافتًا.

(٥) رغم تخليص المتنبي معناه من تلك المفارقة التي وجدناها عند أبي تمام، فإنه قد طور في تلاقي القلوب =

وقول علي بن جبلة:

وأرى الليالي ما طوتْ من قُوَّتي ... ردَّتـــهُ في عِظَتـــي وفي إفهـــامي

مع قول ابن المعتز:

وما يُنْتقصْ مِن شباب الرِّجال ... يَـــزِدْ في نُهاهـــا وأَلبابهـــا[(١)]

وقول بكر بن النطاح:

ولـو لم يكُـنْ في كفـه غـيرُ روحـه ... لَجَـادَ بهـا فليتَّــقِ اللهَ ســائلُه

مع قول المتنبي:

إنــك مِــن مَــعْشَرٍ إذا وهبــوا ... مــا دون أعمارهــم فقــد بَخِلــوا[(٢)]

وقول البحتري:

ومـن ذا يلـومُ البحـر إن بـات زاخـرًا ... يفيضُ وصوبَ المُزنِ إن راح يَهطِلُ؟

مع قول المتنبي:

ومــا ثَنــاكَ كــلامُ النــاسِ عــن كــرمٍ ... ومَـنْ يَسُـدُّ طريـقَ العـارضِ الهَطِلِ[(٣)]؟

القلـــــــــــــــــــــــــــــــــــوب =

= حتى تتنقل من جسم إلى جسم لتتلاقى مرارًا وتكرارًا كلما تاقت واشتاقت، ومع أن ملاصقة الروح عند أبي تمام أكثر مبالغة، فإن صورة المتنبي أكثر تألقًا بالحركة النفسية البادية في التلاقي المتجدد والذي يدل عليه الفعل المضارع مكررًا ومن أجله فخّم هذا التلاقى في كيفه وكمه في قوله: «ما تَلاَقَي».

(١) يعني البيتان أن ما ينقص من القوة والشباب يكون زيادة في العقل والتجربة، وفي ذلك تسرية وعزاء وإرضاء للنفس عند الكبر سوى أن ابن جبلة جعل هذا خاصًّا به كما يبدو في إضافة القوة والعظة والإفهام إلى نفسه، وقد أسند ما ذهب من قوته إلى الليالي وهو إسناد ربما يشي بأسرار لم يقصد الشاعر إعلانها أو ذكرها من الأصل.

أما ابن المعتز، فقد جعلها تجربة إنسانية عامة متصلة بكل الرجال، وطوى فاعل الإنقاص في لباقة بعد بناء الفعل بناءً لا يظهر معه فاعله.

(٢) يعني أن هؤلاء المعشر لا يرضون إلا بأن يهبوا أعمارهم وأرواحهم، ورغم أن بيت ابن النطاح يشتمل على جملتين «خبرية وإنشائية»، والثانية مرتبة على الأولى، وفي الأمر ما فيه من الإشفاق على الممدوح، فإن الخبرية قبلها مبينة على الفرض المستبعد بدليل «لو»، على أنه حدد جوده بالعطاء المعروف بين الناس، لكن المعنى عند المتنبي على التأكيد بـ«إن»، مع القطع بما يدعيه بواسطة «إذا» التي تأتي عند اليقين بوقوع الفعل أو تغليب وقوعه، ثم إنّ «وهبوا» أعم من «جاد»؛ فالهبة تشمل الجود بالنفس وبالمال.

(٣) المعنى الذي يدور حوله البيتان: أن لوم الناس لا يثني الممدوح عن العطاء الوفير، وقد صوره البحتري ابتداءً في صورتين متتاليتين مستفتحًا بالاستفهام الذي ينكر فيه على من يلوم الممدوح، وقد صار =

obeikandl.com

[انتقال المعنى من صورة إلى صورة]

فانظر الآن نَظَرَ من نفى الغفلة عن نفسه، فإنك ترى عيانًا أن للمعنى في كل واحد من البيتين من جميع ذلك صورةً وصفةً غير صورته وصفته في البيت الآخر(١)، وأن العلماء لم يريدوا حيث قالوا: «إن المعنى في هذا هو المعنى في ذاك» أن الذي يعقل من هذا لا يخالف الذي يعقل من ذاك، وأن المعنى عائد عليك في البيت الثاني على هيئته وصفته التي كان عليها في البيت الأول، وأن لا فرق ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه، وأن حكم البيتين مثلاً حكم الاسمين قد وضعا في اللغة لشيء واحد، كالليث والأسد، ولكن قالوا(٢) ذلك على حسب ما يقوله العقلاء في الشيئين يجمعهما جنس واحد، ثم يفترقان بخواص ومزايا وصفات كالخاتَم والخاتَم، والشَّنْف والشَّنْف، والسِّوار والسِّوار، وسائر أصناف الحَلْي التي يجمعها جنس واحد، ثم يكون بينهما الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل(٣).

ومن هذا الذي ينظر إلى بيت الخارجي وبيت أبي تمام، فلا يعلم أن صورة المعنى في ذلك غير صورته في هذا؟ كيف والخارجي يقول: «واحتجَّتْ له فِعْلاَتُه»، ويقول أبو تمام: «**إذن لهجاني عنه معروفه عندي**»، ومتى كان «احتج» و«هجا» واحدًا في المعنى(٤)؟

= بحرًا زاخرًا تارةً وسحابًا يهطل تارةً أخرى.

أما المتنبي، فقد عرض المعنى مباشرًا ثم احتج له بالتمثيل في عقبه، ودلَّ فيهما على أن خطاب الناس للممدح قد تجاوز اللوم إلى محاولة الإثناء والصرف، ويبدو أن تلك المحاولة كانت قوية، لكن إصرار الممدوح أزاحها من طريقه، والتمثيل يجسد هذا المعنى بدقة بالغة؛ إذ مثل له بصورة من يسد طريق الغيث المندفع، لكن الغيث يزيح من طريقه كل شيء، ولو كان سدًّا، ولا تخلو صياغة التمثيل وتصديره بالاستفهام من دلالة على الإزراء والسخرية من تلك المحاولة الفاشلة.

(١) تتلخص في هذه العبارة غاية عبد القاهر من الشواهد السابقة، وهو تعني أن الأخذ قد انتقل بالمعنى من صورة إلى صورة أخرى، وأن في كل صورة ميزة وخصوصية تنسحب على المعنى، فأصل المعنى وإن كان واحدًا، فإنه بالانتقال من صورة إلى صورة أخرى لم يعد هو هو هذا، وفيما ذُكر من الشواهد غِنيً عما لم يذكر وهي قلة لا حظت فيه هناتٌ فنية فأعرضت عنها، على أن أعيد تسجيلها في طبعة تالية مشفوعة برؤيتي فيها وملاحظاتي عليها. بمشيئة الله تعالى «الشارح».

(٢) هذا الاستدراك معطوف على قوله قبل: «وأن العلماء لم يريدوا».

(٣) حاصل هذا أن العلماء حين قالوا: «إن المعنى في هذا البيت هو المعنى في ذاك» لم يقصدوا نفي الفروق بينهما تمامًا، ولكن قصدوا أن البيتين يلتقيان في أصل عام، ثم يفترقان بخواص ومزايا لكل منهما ترجع إلى صنعة كل شاعر وطريقته في تصوير المعنى.

(٤) هذا قاطع الدلالة على أن قولهم: «المعنى في هذا البيت هو المعنى في ذاك» قصدوا به أصل المعنى أو =

وكذلك الحكم في جميع ما ذكرناه، فليس يتصور في نفس عاقل أن يكون قول البحتري:

وأحــبُّ آفــاقِ الــبلادِ إلى الفتــى أرضٌ يَنَــال بهــا كــريمَ المطلــبِ

وقول المتنبي:

وكــلُّ مكــانٍ يُنْبــت العــزَّ طيــبْ

سواءً[١].

[مفهوم الصورة]

واعلـم أن قولنـا «الصـورة» إنـما هـو تمثيـل وقيـاس لـما نعملـه بعقولنـا عـلى الـذي نـراه بأبصارنا[٢]، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكـان تبـيُّن إنسـان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبيُّن خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك[٣]، ثم وجدنا[٤] بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقًا، عبَّرنا عن ذلك الفـرق وتلـك البينونة بأن قلنـا: «للمعنـى في هـذا صـورة غـير صـورته في ذلـك»، ولـيس العبـارة عـن ذلـك الصورة شيئًا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشـهور في كـلام العلـماء، ويكفيـك قول الجاحظ: «وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير»[٥].

= المعنى العام والغرض، ولم يقصدوا المعنى الشعري الـذي تجـدد بالتجديـد في الصـورة وبينهما ارتبـاط وتلبس، ولذلك جعلهما الشيخ شيئًا واحدًا هو «صورة المعنى».

(١) أي: لا يعقل أن يكون معنى البحتري ومعنى المتنبي سواء، لكـن لـما انتقـل المعنـى مـن صـورة إلى صـورة صار شيئًا مختلفًا لا تستقل بـه الصـورة ولا يستقل بـه المعنـى، وهـذا مـا يعنيـه تسـمية الشـيخ بـ«صـورة المعنى».

(٢) وذلك كقياس العلم على النور، وقياس الجهل على الظلام، وإن شئت فقل: كتمثيل العلم بـالنور وتمثيـل الجهل بالظلام، ولكن تسمية الشيخ بـ«صورة المعنى» أوسع مـن ذلـك؛ لأنهـا تعنـي الـنظم والأسـلوب، ولو لم يكن فيه تمثيل أو تشخيص.

(٣) «بذلك» أي: باختلاف الصورة، مع ملاحظة الفرق بـين إنسـان وإنسـان وفـرس وفـرس بخصوصـية في الصورة يكون له دلالة على فروق معنوية وخلقية، فقياس صورة الكلام عليه أدق من قياسه على الفـرق بين خاتم وخاتم، وسوار وسوار؛ لأن تميز خاتم عن آخر بصورة خاصـة لا يكـون دلالـة عـلى فـروق في الجواهر والمادة.

(٤) معطوف على «فلما رأينا البينونة...».

(٥) يستدل عبـد القـاهر بعبـارة الجـاحظ عـلى أن مـا نجـده مـن فـروق معنويـة بـين بيـت وبيـت يرجـع إلى =

[دليل ثانٍ على أن المعنى ينتقل من صورة إلى صورة]

واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر، وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معادًا على وجهه لم يحدث فيه شيئًا، ولم يغيِّر له صفة لكان قول العلماء في شاعر: «إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد»، وفي آخر: «إنه أساء وقصر» لغوًا من القول، من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئًا(١).

وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيرًا للبيت ومناسبًا له خطأً منهم؛ لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه، وأن يكون نظيرًا لنفسه(٢).

[دليل ثالث](٣)

وأمر ثالث، وهو أنهم يقولون في واحد: «إنه أخذ المعنى فظهر أخذه»، وفي آخر: «إنه أخذه فأخفى أخذه»، ولو كان المعنى يكون معادًا على صورته وهيئته، وكان الآخذ له من صاحبه لا يصنع شيئًا غير أن يبدل لفظًا مكان لفظ (٤) لكان الإخفاء فيه محالاً؛ لأن اللفظ لا

= اختلاف صورة المعنى من بيت إلى آخر أو لعله يستأنس بكلام الجاحظ فيما يذهب إليه من تطوير مفهوم التصوير ليصير مرادفًا للتشكيل والتأليف والطريقة في النظم.

(١) أي أن حكم العلماء على أخذ شاعر بالإجادة وعلى آخر بالتقصير دليل على أن المعنى ينتقل من صورة إلى صورة، وليس مجرد إعادة لنفس الصورة؛ لأنه لو كان الأخذ إعادة لنفس الصورة لما قالوا: فلان أخذ وأجاد، أو أخذ وقصر، بل قالوا: إنها سرقة مرفوضة.

(٢) هذا يؤكد على أن أخذ الشاعر من الشاعر ليس إعادة لصورة معناه وألفاظه، وهذا ظاهر في الدلالة على مذهب الشيخ الذي يرفض رفضًا قاطعًا أن يعيد شاعر ألفاظ غيره؛ لأنه يكون سرقة ظاهرة، وليس من الشاعرية في شيء.

(٣) يستدل فيه على أن أخذ الشاعر من غيره ليس إعادة لصورته، ولكنه انتقال بالمعنى من صورة إلى صورة أخرى.

(٤) مثال ذلك أن يأتي شاعر إلى قول الحطيئة:

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا ... واقعـد فإنـك أنـت الطـاعم الكـاسي

فيقول على حذوه:

ذر المـــآثر لا تـــذهب لمطلبهـــا ... واجلـس فإنـك أنـت الآكـل اللابـس

فإن كل ما فعله هو تبديل لفظ مكان لفظ، لكن الصورة هي هي، والأسلوب هو هو، وهذا لا خفاء فيه؛ لأن اللفظ لا يخفي المعنى، وإنما كان يخفيه أن ينتقل بهذا المعنى من صورة إلى صورة أخرى، ومن أسلوب إلى أسلوب آخر.

وفي هذا السياق يتبيَّن قصد عبد القاهر من الصورة في مجال التطبيق على أخذ الشعراء بعضهم من =

لا يخفي المعنى، وإنما يخفيه إخراجه في صورة غير التي كان عليها.

[أمثلة على انتقال المعنى من صورة إلى صورة مع خفاء الأخذ]

[والخفاء بمقدار التصرف]

مثال ذلك أن القاضي أبا الحسن ذكر فيما ذكر فيه «تناسب المعاني»، بيت أبي نواس:

خُلِّيَـــتْ والحُسْـــنَ تأخـــذُه تنْتَقـــي منـــه وتَنْتَخِـــبُ(١)

وبيت عبد الله بن مصعب:

كأنـك جئـت مُحـتكِمًا علـيهم تخـــيَّرَ في الأُبُـــوَّة مـــا تشـــاء(٢)

وذكر أنهما معًا من بيت بشار:

خُلقْـتُ عـلى مـا فيَّ غَـيْرَ مُخَـيَّرٍ هواي، ولو خُيِّرْتُ كنتُ المهذَّبا(٣)

والأمر في تناسب هذه الثلاثة ظاهر، ثم إنه تناوله فأخفاه وقال:

فلـو صَـوَّرْتَ نفسـك لم تزِدْهـا عـلى مـا فيـك مـن كَـرَمِ الطِّبـاَع(٤)

ومما هو في غاية الندرة من هذا الباب ما صنعه الجاحظ بقول نُصَيْب:

= بعض، فقد قصد بها هنا الأسلوب وطريقة النظم، وأن المعنى ينتقل عند الأخذ من صورة إلى صورة ومن هيئة إلى هيئة، ومن أسلوب إلى أسلوب.

(١) يصف محبوبته بأنها قد أخذت من كل حسن بطريق، وكأنها قد خيرت لتنقي ما تشاء من أوصاف الجمال حتى بلغت فيه ذروته وغايته.

(٢) يصف ممدوحه بالرحمة والشفقة والتسامح مع رعيته، وكأنه يتخير لنفسه معهم من خصال الأبوة ما يشاء، وجهة التناسب بينه وبين بيت أبي نواس هي الحرية المطلقة في تخير ما يبلغ بالصفات الحسنة ذروة الكمال مع اختلاف المعنى والصياغة ولذلك كان من الأخذ الخفي.

(٣) إذا كان معنى أبي نواس ومعنى مصعب يدوران حول حرية الاختيار مهما كان مجاله، فإن بيت بشار ينفي عن نفسه تلك الحرية، ويعتذر عن أهوائه الجامحة بأنها ليست باختياره، وأنه لو خير لاختار أن يكون مهذبًا ولاشك أنها مغالطة وتبرير لجموح الهوى.

ويتبيَّن من هذا الشاهد أن خفاء الأخذ من مظاهره التحول بفحوى المعنى من غرض إلى غرض ومن صورة إلى صورة أخرى وأسلوب آخر.

(٤) هذا من أحسنهم وأخفاهم أخذًا؛ لأنه جعل الممدوح مجبولاً على أفضل ما يكون من كرم الطباع، فلو خير لنفسه ما يشاء من الخصال لم يزدها شيئًا ولا يفطن للأخذ فيه إلا خبير بحركة التطوير في المعاني وصورها.

ولـو سـكتوا أثنـتْ عليـك الحقائـبُ[١]

حين نثره فقال، وكتب به إلى ابن الزيات: «نحن أعزك الله نَسْحَر بالبيان، ونُموِّه بالقول، والناس ينظرون إلى الحال، ويقضون بالعيان، فأثِّرْ في أمرنا أثرًا[٢] ينطق إذا سكتنا، فإن المدعي بغير بيِّنةٍ مُتعرِّض للتكذيب».

[أبيات للشعراء في وصف الشعر وهي دالة على أن حسنها لا يعود إلى جرس حروفها][٣]

وهذه جملة مِنْ وصْفِهم الشعرَ وعَمَلِه، وإدلالهم به:

أبو حيَّة النميري:

إن القصـــائد قـــد عَلِمْـــنَ بـــأنني ... صَـــنَعُ اللِّســـان بهـــنَّ لا أتَنَحَّـــلُ
وإذا ابتـدأتُ عـروضَ نسـج رَيِّـضٍ ... جعلـتْ تَـذلّ لمـا أَريـد وتُسْـهلُ
حتـى تطـاوعني، ولـو يرتاضُـها ... غـيري لحـاول صـعبةً لا تَقْبَـلُ[٤]

عدي بن الرِّقاع:

وقصـيدةٍ قـد بِـتُّ أجمـع بينهـا ... حتـى أَقـوِّم مَيْلَهـا وسِـنَادَها
نَظَـرَ المثقِّـف في كُعُـوب قَناتـه ... حتَـى يُقـيم ثِقَافُـهُ مُنْآدَهـا[٥]

بشار:

---

(١) ورد في «المصباح»: «الحقائب جمع حقيبة، وهي عجيزة المرأة، ثم سمِّي ما يحمل من القماش على الفرس خلف الراكب حقيبة مجازًا؛ لأنه محمول على العجز»، والمقصود: لو سكتوا عن فضلك جحودًا أو نسيانًا لأثنت عليك عطاياك لهم.

(٢) أي: افعل لنا شيئًا يترك أثرًا لا ينسى حتى كأنه ينطق بالثناء عليك إذا سكتنا، وهذا هو المعنى الذي أخذه الجاحظ من شعر نصيب، لكن الصورة مختلفة.

(٣) هذا العنوان مفهوم من تعقيب عبد القاهر على تلك الأبيات، وكان يهدف إلى قياس الإعجاز عليه من باب أولى، وأنه لا يعود إلى مذاقة الحروف وخفة النطق بها، ولكن يعود إلى نظم المعاني.

(٤) «لا أتنحل» أي: لا أغُير على شعر غيري، فأدعيه لنفسي، و«العروض»: الناقة الصعبة التي لم تذلل، و«الريض»: من الدواب التي لم تذل لراكبها بعدٌ إذا كانت في أول الترويض، و«تذل»: تلين وتسهل بعد صعوبة، وهذه صورة مستعارة تدل على ما يكابده الشاعر في صنعة الشعر وفي تطويع المعاني النافرة، وجملة الشرط «ولو يرتادها...» إدلال بقدرته على ما لا يقدر غيره عليه وهذه المكايدة والترويض لا يكون إلا الصور المعاني.

(٥) المثقف: الذي يقيم اعوجاج الرماح، والثقاف: آلة تسوى بها الرماح، والمنآد: المعوج.

عَمِيتُ جنينا والذّكاءُ من العمى ... فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلم مَوْئلا
وغاص ضياء العين للعلم رَافدًا ... لقلْبٍ إذا ما ضيَّع الناسُ حَصَّلا[1]
وشعرٍ كَنَوْر الروض لاءمتُ بينه ... بقولٍ إذا ما أَحْزنَ الشِّعرُ أسْهلاَ

وله:

زَوْرُ ملوكٍ عليهِ أَبَّهَةٌ ... يَغرفُ مِن شعره ومِن خُطَبِه
لله ما راح في جَوانِحِه ... من لؤلؤٍ لا ينام عن طَلَبه[2]
يَخْرجُ من فِيه للنديِّ كما ... يخرج ضوءُ السراج من لَهَبِه

تميم بن مقبل:

إذا مِتُّ عن ذكر القوافي فلن ترى ... لها قائلاً بعدي أطبَّ وأشعرا
وأكثَرَ بيتًا سائرًا ضُرِبَتْ له ... حُزُون جبال الشعر حتى تيسَّرا
أغرَّ غريبًا يمسح الناس وجهَهُ ... كما تمسح الأيدي الأغرَّ المشهَّرا[3]

ولأبي تمام:

إليك أَرَحْنَا عازبَ الشِّعر بعدما ... تَمَهَّل في روض المعاني العجائبِ
غرائبُ لاقتْ في فنائك أَنسَهَا ... من المجد فهي الآن غيرُ غرائبِ
ولو كان يَفْنَي الشِّعر أفناه ما قَرَتْ ... حِيَاضُك منه في السِّنين الذَّواهبِ
ولكنه صَوْبُ العقول إذا انْجَلَتْ ... سحائبُ منه أَعقِبَتْ بسحائبِ[4]

---

(١) الخصوصية في أن جعل نور العين قد غاص إلى قلبه ليزيد في فهمه وعلمه بالشعر، وفي جعل الشرع لوحة من الأزهار البديعة والمتلائمة.

(٢) الخصوصية في أن جعل الشعر لؤلؤًا مستقرًا في جوانحه لا ينام عن طلبه والغوص في أعماق نفسه لاستخراجه وإعداده بالصنعة حتى إذا زار الملوك فاض كأنه يغرف من بحر، والبيت الأخير يصور ولادة ذلك الشعر الذي يفيض بالحياة والتوهج بعد حرارة التجربة الشعرية، فيشبه ذلك بخروج ضوء السراج من ناره الملتهبة، وهذه الصورة الفريدة نموذج حي لمعاناة النفس حتى تخرج هذا الإبداع المتألق.

(٣) الأغر المشهر: الفرس الذي جاء سابقًا، فمسح الناس وجهه حبًّا وإكرامًا له، وقد شبه به البيت السائر الشارد الذي ضربت له حزون جبال الشعر حتى تيسر، وهنا تكمن الخصوصية في هذه الصورة البكر الممتدة لمعاني الشعر الأبية التي يكد في استخراجها من أعماق نفسه حتى تولد مكتملة شاردة ليس لها منافس.

(٤) «عازب الشعر» مستعار من عازب الإبل التي خرج بها راعيها بعيدًا عن الحي يتحرى مواضع الكلأ، =

وللبحتري:

أيذهبُ هذا الدهرُ لم يُر موضعي ... ولم يَدْرِ ما مقدارُ حَلِّي ولا عَقْدي
ويكسُدُ مثلي وهو تاجرُ سُؤددٍ ... يبيعُ ثميناتِ المكارم والمجد
سوائرُ شِعرٍ جامعٍ بَدَدَ العُلَى ... تعلّقن مَنْ قبْلي وأتْعَبْن مَنْ بَعْدِي
يُقدِّرُ فيها صانعٌ مُتَعَمِّلٌ ... لإحكامها تقدير داود في السَّرْد[1]

[غرض الشيخ من ذكر تلك الأبيات]

الغرض من كتب هذه الأبيات الاستظهار[2] حتى إنْ حمل حاملٌ نفسه على الغرر والتَّقحُّم على غير بصيرة، فزعم أن الأعجاز[3] في مذاقة الحروف وفي سلامتها مما يثقل على

الكلأ، =

= وأراحها: ردها إلى مراحها بعد الغروب للمبيت، و«ما قرت حياضك» ما جمعه قراك وجودك إلى ساحتك من الشعر، والبيت الثاني استئناف مبين لمعنى الأول ومقرر لمضمونه، وهما يعينان: أن الشعر يحلق ما يحلق، ثم يستقر عندك أنسًا بمجدك وجودك.

والبيت الثالث شرط وجوابه والرابع تكميل، والمعنى فيهما أن قرائح الشعراء لا تنضب، ولو كان يفني الشعر لأفناه ما جمعه جودك من قبل، ولكن الشعر غيث العقول الذي يدر دائمًا طالما تجددت سحائبه وبواعثه، والخصوصية والروعة في هذين البيتين وما فيهما من دلالة على استمرار الشعر بتجدد الفكر واستمرار التجارب الإنسانية، وفي الصورة إيماء إلى أن الشعر غيث النفوس الظامئة.

(١) الحل والعقد: ما يعرف بحل المنظوم وعقد المنثور، وهو كناية عن براعة التصرف في معاني السابقين، ويبدو أن ذلك كان في بداية عهد البحتري بالشعر، و«جامع بدد العلى» أي: جامع ما تفرق من معاني الأمور، ومفتاح هذا الشعر في استفهام البيت الأول الذي يستمر في البيت الثاني، ويعكس التعجب الممزوج بالمرارة والثورة على نقاد عصره الذين لم يكونوا قد احتفلوا بشعره بعد، والأبيات يأخذ بعضها برقاب بعض من الاستفهام إلى الاستئناف، والخصوصية في البيت الأخير الذي يلفت إلى ما يبذله في شعره من جهد ونظر لإتقان صنعته، كما كان يفعل داود عليه السلام في صنع الدروع، وهو مقتبس من معنى قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١].

وقد عدَّ النقاد البحتري من شعراء الطبع رغم ما صرَّح هو به، وهذا دليل على أن الطبع لا ينافي الصنعة، وأنهما يلتقيان حتمًا في نفس كل شاعر، فالطبع يدفع ويلهم والصنعة تصقل وتتقن، ولا مجال إذن لتقسيم الشعراء إلى شعراء طبع وشعراء صنعة، لكن ربما يغلب طبع شاعر على صنعته أو تغلب صنعة شاعر على طبعه.

(٢) الاستظهار: الاستدلال بالدليل الظاهر الذي لا خفاء فيه، والغرر: الخطر، والتقحم: مصدر تقحم، ومثله اقتحم عقبة أو وهدة: رمي نفسه فيها، وأصله من القحمة بالضم، وهي الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد.

(٣) المقصود بالإعجاز: إعجاز القرآن، ويقصد أن يجعل الشعر دليلاً على الإعجاز من جهة أن الشعر لا

اللسان علم بالنظر فيها فساد ظنِّه وقبح غلطه من حيث يرى عيانًا أن ليس كلامهم كلام من خطر ذلك منه ببال، ولا صفاتهم صفات تصلح له حال؛ إذ لا يخفى على عاقل أن لم يكن ضرب «تميم» لحزون جبال الشعر، لأن تسلم ألفاظه من حروف تثقل على اللسان، ولا كان تقويم «عدي» لشعره وتشبيهه نظره فيه بنظر المثقف في كعوب قناته لذلك[١]، وأنه محال أن يكون له جعل«بشار» نور العين قد غاص فصار إلى قلبه، وأن يكون اللؤلؤ الذي كان لا ينام عن طلبه، وأن ليس هو صوب العقول الذي إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب، وأن ليس هو الدر والمرجان مؤلفًا بالشذر في العقد، ولا الذي له كان «البحتري» مقدرًا «تقدير داود في السرد» كيف؟ وهذه كلها عبارات عما يدرك بالعقل ويستنبط بالفكر، وليس الفكر الطريق إلى تمييز ما يثقل على اللسان مما لا يثقل، إنما الطريق إلى ذلك الحسِّ[٢].

ثم إنه اتفاق من العقلاء أن الوصف الذي به تناهى القرآن إلى حدٍّ عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة، وما رأينا عاقلاً جعل القرآن فصيحًا أو بليغًا بأن لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان؛ لأنه لو كان يصح ذلك لكان يجب أن يكون السوقي الساقط من الكلام، والسفساف الرديء من الشعر، فصيحًا إذا خفَّت حروفه[٣].

[دليل أقوى على أن الإعجاز ليس للفظ وخفة حروفه]

ودعْ هذا، وهبْ أنه لا يلزم شيء منه[٤]، فإنه يكفي في الدلالة على سقوطه وقلة تمييز

يقصد فيه إلى مذاقة الحروف وخفتها وسهولتها، وإنما يقصد فيه إلى دقة صنعة المعاني ونظمها = = وتصويرها وهكذا القرآن، ووجه دلالة ما في الشعر على ما في القرآن: أن القرآن معجز متفرد في نظمه وأسلوبه بالقياس إلى نظم الشعر وأسلوبه، فإذا كان الشعر لا يقصد فيه إلى مذاقة الحروف وخفتها، فالقرآن كذلك من باب أولى؛ لأن القرآن يكون معجزًا ومتفردًا أو متفوقًا على الشعر في الجهة التي يبرع فيها الشعر، ويعتد الشعراء بها وهي صياغة المعاني ودقة الصنعة في تأليفها.

(١) أي: لم يبذل ما بذله من دقة في الصنعة من أجل أن تسلم ألفاظه من حروف تثقل على اللسان.

(٢) أي أن تمييز الحروف الخفيفة من الثقيلة مما لا يبذل الشعراء فيه جهدًا، ولا يعملون فيه فكرًا؛ لأنه شيء يعتمد على الحسّ اللغوي والطبع الشعري، أما ما يبذلون فيه جهدًا ويعملون فيه فكرًا -كما يبدو من الأبيات السابقة- فهو صياغة المعاني وإتقان نظمها في صنعة دقيقة.

(٣) هذا وجه آخر من وجوه الاستدلال بالشعر على الإعجاز، ونفي أن يكون الإعجاز بخفة الحروف؛ إذ لو صحَّ ذلك لكان الرديء من الشعر فصيحًا لمجرد خفة حروفه.

(٤) هذا لا يعني إلغاء ما سبق من أدلة على بطلان الزعم بأن الإعجاز يعود للفظ وخفة حروفه، ولكنه من باب الإعداد والاحتشاد لدليل أهم في دحض ذلك الزعم، وحاصله: أن القول به يصطدم مع حقيقة ناصعة هي اعتماد القرآن على

القائل به، أنه يقتضي إسقاط الكناية والاستعارة والتمثيل والمجاز والإيجاز جملة، واطِّراح جميعها رأسًا، مع أنها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، والأعضاد التي تستند الفصاحة إليها، والطَّلَبة التي يتنازعها المحسنون، والرهان الذي تجرَّب فيه الجياد، والنضال الذي تعرف به الأيدي الشداد[1]، وهي التي نوَّه بذكرها البلغاء، ورفع من أقدارها العلماء، وصنفوا فيها الكتب، ووكلوا بها الهمم، وصرفوا إليها الخواطر حتى صار الكلام فيها نوعًا من العلم مفردًا، وصناعة على حدة، ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلا ذكرها وجعلها العمد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية، وخصوصًا الاستعارة والإيجاز، فإنك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون وأول ما يوردون[2].

وتراهم يذكرون من الاستعارة قوله ﷻ: ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ [مريم:٤]، وقوله: ﴿**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**﴾ [البقرة: ٩٣]، وقوله ﷻ: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**﴾ [يس:٣٧]، وقوله ﷻ: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ [الحجر:٩٤]، وقوله: ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا**﴾ [يوسف: ٨٠]، وقوله: ﴿**حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**﴾ [محمد:٤]، وقوله: ﴿**فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ**﴾ [البقرة: ١٦][3].

ضروب من البيان لا جدال في أنها أقطاب البلاغة، وهي من مقتضيات النظم الذي يرد الإعجاز إليه.

(١) الأعضاد: جمع عضد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف، وبه يرمز للقوة، وقد استعير هنا للأقطاب التي تدور عليها البلاغة والأسس التي تعتمد عليها الفصاحة.

والطلبة: وزان كملة: ما تطلبه من غيرك مثل الطلب والطلاب، وجمعه: طلبات بكسر اللام، والرهان: مصدر راهن على كذا، وتراهن القوم إذا أخرج كل واحد رهنًا؛ ليفوز السابق بالجميع إذا غلب [راجع: «المصباح»]، وكل هذه صور تمثيلية تلفت إلى قيمة هذه الألوان «الكناية والاستعارة والتمثيل والمجاز والإيجاز»، فكلها مجال يتنافس فيه الفصحاء.

(٢) أول من جعل لكل من الاستعارة والإيجاز عنوانا في الإعجاز هو الرماني -أبو الحسن علي بن عيسى- في رسالته «النكت» تراجع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: سلام وخلف الله، والرماني نفسه هو الذي عدَّ التلاؤم من أقسام تلك البلاغة المعجزة، وكان يقصد تلاؤم الحروف الذي يرفض عبد القاهر رد الإعجاز إليه، فكأني بعبد القاهر يأخذ من الرماني شيئًا ويرد عليه شيئًا آخر من غير أن يذكر اسمه، وآخر جملة لعبد القاهر من هذه الفقرة تؤكد أنه الرماني، فالإيجاز أول ما أورده الرماني في رسالته، ثم إن شواهد الاستعارة التي ذكرها عبد القاهر في الفقرة التالية هي بعض ما ذكره الرماني من شواهد الاستعارة في رسالته، وتبعه في الاستشهاد بها أبو هلال وغيره.

(٣) هذه الشواهد سبق إليها الرماني وحدَّد مواضع الاستعارة فيها، وكشف في براعة عن سر العدول عن الحقيقة إلى الاستعارة، وقد اكتفى عبد القاهر هنا بذكر الشواهد دون تعقيب أو بيان؛ لأنه لم يكن بصدد

ومن الإيجاز قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]، وقوله: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وتراهم على لسان واحد[١] في أن المجاز والإيجاز من الأركان في أمر الإعجاز.

وإذا كان الأمر كذلك عند كافة العلماء الذين تكلموا في المزايا التي للقرآن، فينبغي أن ينظر في أمر الذي يُسْلِم نفسه إلى الغرور، فيزعم أن الوصف الذي كان له القرآن معجزًا هو سلامة حروفه مما يثقل على اللسان، أيصح له القول بذلك إلا من بعد أن يدعي الغلط على العقلاء قاطبة فيما قالوه، والخطأ فيما أجمعوا عليه[٢]؟ وإذا نظرنا وجدناه لا يصح له ذلك إلا بأن يقتحم هذه الجهالة، اللهم إلا أن يخرج إلى الضُّحْكَة، فيزعم مثلاً أن من الاستعارة والإيجاز إذا دخلا الكلام أن يحدث بهما في حروفه خفة، وتتجدد فيها سهولة، ونسأل الله العصمة والتوفيق.

[رأي وسط ومهم في مدخل مذاقة الحروف في الإعجاز]

واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذي ننكره ونُغَيِّلُ رأي من يذهب إليه[٣] أن يجعله معجزًا به وحده، ويجعله الأصل والعمدة، فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات[٤].

الحديث عن الاستعارة وبيانها، ولم يكن بصدد الحديث عن الإيجاز وضروبه، وإنما قصد أن =
= هذه الشواهد وردت عندهم وهم يبحثون في الإعجاز بما يدل على أنهم يعتدون بالاستعارة والإيجاز، وأنهما عندهم من أركان الإعجاز، ولا يستطيع أحد أن يدعي أن المزية فيهما تعود إلى خفة الحروف وتلاؤمها.

(١) «على لسان واحد» أي: يتفقون تمامًا، وكان يقصد العلماء الذين سبقوه إلى الحديث عن الإعجاز.

(٢) من هنا نفهم وجه دلالة الاستعارة والتمثيل والكناية والإيجاز على أن الإعجاز لا يكون في خفة الحروف وسهولة الألفاظ، ذلك لأن من المتفق عليه أن القرآن معجز ببلاغته وفصاحته، ومن المتفق عليه أيضًا أن الاستعارة والكناية والتمثيل والإيجاز أقطاب تدور عليها البلاغة وتستند إليها الفصاحة، فيكون القرآن معجزًا بهذه الأقطاب، وهي لا تؤدي أبدًا إلى خفة في الحروف وسهولة في الألفاظ، وبهذا يستحيل رد الإعجاز إلى تلك الخفة والسهولة، ويكون من قال بذلك من المعتزلة قد خالف إجماع العلماء في جعل الاستعارة والإيجاز ونحوها من أركان الإعجاز.

(٣) فيَّل رأيه: قبَّحه وخطَّأه لفساده.

(٤) لا أعرف أحدًا من العلماء عد تلاؤم الحروف وحده سببًا في الإعجاز أو جعله العمدة في هذا الباب، ولكن لما عاد الشيخ إلى ذلك الرأي الوسط الذي لا ينكر مدخل مذاقة الحروف في تأكيد الإعجاز -

ثم إن العجب كل العجب ممن يجعل كل الفضيلة في شيء هو إذا انفرد لم يجب به فضل البتة، ولم يدخل في اعتداد بحال، وذلك أنه لا يخفى على عاقل أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان اعتداد حتى يكون قد ألف منها كلام، ثم كان ذلك الكلام صحيحًا في نظمه والغرض الذي أريد به، وأنه لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى ويؤلف منها كلامًا لم تر عاقلاً يعتد السهولة فيها فضيلة؛ لأن الألفاظ لا تراد لأنفسها، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني. فإذا عدمت الذي له تراد، أو اختل أمرها فيه لم يعتد بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحدًا[1].

ومن ها هنا رأيتَ العلماء يذمون مَن يحمله تطلُّب السجع والتجنيس على أن يَضيم لهما المعنى، ويُدخل الخلل عليه من أجلهما، وعلى أن يتعسف في الاستعارة بسببهما، ويركب الوعورة، ويسلك المسالك المجهولة، كالذي صنع أبو تمام في قوله:

سيفُ الإمام الذي سَمَّتْهُ هَيبتُه ... لما تخَرَّم أهل الأرض مُخْتَرما
قَرَّتْ بِقُرَّانَ عينُ الدين وانشَتَرتْ ... بالأشْتَرَيْن عيونُ الشِّرك فاصطُلِمَا[2]

وقوله:

ذهبتْ بمذهبه السماحةُ والتوتْ ... فيه الظنون أمَذْهبٌ أم مُذْهَبُ[3]

احتاط بإنكار ما يمكن أن يحدث من جعل ذلك هو الأصل في الإعجاز والعمدة فيه.

(١) إذا كانت الفقرة السابقة «اعلم أنا لا نأبى...» تتضمن اعترافًا بأن مذاقة الحروف يمكن أن تكون لها مدخل في تأكيد الإعجاز، فإن هذه الفقرة: «ثم إن العجب... » تتضمن شرطًا ضامنًا لهذا الأمر، ويتلخص في ألا يعتد بمذاقة الحروف وسهولتها حتى تكون قد ألف منها كلام صحيح الغرض، بمعنى ألا تكون تلك السهولة والخفة غاية في ذاتها، «وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني»، فكلُّ ميزة صوتية من أجل ميزة معنوية.

(٢) تخرَّم: استأصل، وقرَّت: استقرت، وقران والأشترين: أسماء مواضع، واصطلما: قطع من أصله، وتكلف الجناس ظاهر في البيتين.

(٣) مُذْهَبُ: شيء ذهب بعقله «جنون»، والمعنى: أفرط في السماحة والجود حتى تحيرت فيه الظنون وتساءلت: أهذه خلقته وطريقته أم جنون؟! ومن الواضع أنه أساء اللفظ والمعنى معًا، وهذه ثمرة المبالغة في المدح.

ويصنعه المتكلفون في الأسجاع[١]، وذلك أنه لا يتصور أن يجب بهما ومن حيث هما فضلٌ، ويقع بهما مع الخلو من المعنى اعتداد، وإذا نظرت إلى تجنيس أبي تمام: «أمذهب أم مذهب» فاستضعفته، وإلى تجنيس القائل:

* حتى نجا من خوفه وما نجا *[٢]

وقول المحدث:

نــــاظِراه فــــيما جَنَــــى نــــاظِراهُ ... أو دَعَــــاني أمُــــتْ بــــما أودعــــاني[٣]

فاستحسنته، لم تشك بحالٍ أن ذلك لم يكن لأمر يرجع إلى اللفظ، ولكن لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني، وذلك أنك رأيت أبا تمام لم يزدك بمذهب ومُذْهَب على أن أسمعك حروفًا مكررة لا تجد لها فائدة إن وجدت إلا متكلفة متمحلة، ورأيت الآخر[٤] قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك أنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووفاها[٥]، ولهذه النكتة كان التجنيس، وخصوصًا المستوفي منه، مثل «نجا» و«نجا»[٦] من حُلي الشِّعر، والقول فيما يحسن وفيما لا يحسن من التجنيس والسجع يطول، ولم يكن من غرضنا من ذكرهما شرح أمرهما، ولكن توكيد ما انتهى بنا القول إليه من استحالة أن يكون الإعجاز في مجرد السهولة وسلامة الألفاظ مما يثقل على اللسان.

وجملة الأمر، أنا ما رأينا في الدنيا عاقلاً اطَّرح النظم والمحاسن التي هو السبب[٧] فيها

---

(١) معطوف على «كالذي صنع أبو تمام»، ويقصد به ما يقع في الشعر والنثر من تكلف.

(٢) من قول أحد الرجاز يصف ما فعله سهمه حين رمى عيرًا، و«نجا» الأولى من النجو وهو ما يخرج من البطن من الغائط، يريد أن هذا العير من خوفه أحدث ثم لم ينج. [راجع: تعليق محمود شاكر، ٥٢٣].

(٣) ناظراه أي: سلا ذلك المحبوب وناقشاه فيما فعلت عيناه الساحرتان بي، يُعرِّض بطلب الوصل الذي ينقده- أو يتركاه يمت بما تركت تلك العيون من حزن وألم.

(٤) يقصد من قال: «حتى نجا من خوفه وما نجا».

(٥) وهذا ناتج عن تماثل الكلمتين المتجانستين تمامًا في اللفظ واختلافهما في المعنى، فها هنا تعددت الإفادة مع أن الصورة صورة الإعادة، وكأن هذه الفائدة لا تحصل من «مَذهب» و«مُذْهب»؛ لعدم تماثل الكلمتين في هيئة حرف الميم أو لتكلف البيت الذي وردا فيه.

(٦) من الواضح أن المستوفي عند عبد القاهر هو اتفاق اللفظين في كل شيء حتى في نوع الكلمتين؛ حيث جاء كل منها فعلاً ماضيًا، وهذا يسمَّى عند المتأخرين بالجناس المماثل، أما المستوفي عندهم، فيختلف فيه نوع اللفظين كاسم وفعل مثل: «سميته يحيى ليحيا» [راجع: الإيضاح بتعليق البغية ٤/ ٦٩، ٧٠].

(٧) أي: ما رأينا عاقلاً طرح النظم وطرح المحاسن التي كان النظم سببًا فيها من الاستعارة والكناية

obeikandl.com

من الاستعارة والكناية والتمثيل وضروب المجاز والإيجاز، وصدَّ بوجهه عن جميعها، وجعل الفضل كله والمزية أجمعها[١] في سلامة الحروف مما يثقل، كيف؟ وهو يؤدي إلى السخف[٢] والخروج من العقل كما بيَّنا.

واعلم أنه قد آن لنا نعود إلى ما هو الأمر الأعظم والغرض الأهم والذي كأنه الطِّلِبَة وكل ما عداه ذرائع إليه، وهو المرام، وما سواه أسباب للتسلق عليه، وهو بيان العلل التي لها وجب أن يكون لنظمٍ مزيةٌ على نظمٍ، وأن يعظم أمر التفاضل فيه، ويتناهى إلى الغايات البعيدة[٣]، ونحن نسأل الله تعالى العونَ على ذلك والتوفيق له والهداية إليه.

***

والتمثيل، وهذا يعني أن حسن الاستعارة مستمد من النظم، وحسن الكناية مستمد من النظم وهكذا.

(١) هذا يعني أن الشيخ لا يمنع نسبة بعض الفضل وبعض المزية لخفة الحروف، وهو ينسجم مع ما صرَّح به الشيخ قبل في هذا السياق من أنه لا يأبى أن تكون مذاقة الحروف داخلاً فيما يوجب الفضيلة، وأن يكون مما يؤكد الإعجاز، وإنما الذي ينكره أن يجعله الأصل والعمدة في الإعجاز وهو بهذه الرؤية لا يختلف معه أحد.

(٢) يقال: رجل في عقله سخف، أي: نقص «المصباح».

(٣) هذه العبارة مطمعة وهي تدفعنا إلى الانتقال في عجلة للكلام التالي للوقوف على تلك العلل التي يفضل بها نظم من نظم ونقلب صفحة بعد صفحة ونفتش بين السطور، فلا نجد تلك العلل، ولكن نجد مقدمات يتوسل بها إلى معرفتها، وفي هذه المقدمات يذكرنا الشيخ بأسس لا بدَّ منها تتصل بماهية النظم، وأنه لا مفر من معرفة معاني النحو وأحكامه وفروقه فيما بين الكلم، وأن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن لا بدَّ له من معرفة هذه الأمور، ثم انتقل إلى أصول بناء النظم الذي يتكون أساسًا من الخبر الذي يتكون من مخبر به ومخبر عنه، واستطرد من ذلك إلى أن إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه لا يتعلق بالألفاظ ولكن بالمعاني.. حتى يصل إلى المفعول وبعد جهد جهيد يصل إلى أن ما يترتب على الفروق بين نظم ونظم من مزايا هي أمور خفية ومعانٍ روحانية لا يتنبه لها إلا من كان مهيأً لإدراكها بطبيعة قابلة لها وذوق وقريحة وإحساس نفس مرهفة، ويبدو أن السكاكي جال في دلائل الإعجاز جولات حتى خرج بهذه النتيجة، وهي أن الإعجاز لا يدرك إلا بالذوق.

الخبر وما يتحقق به الإسناد

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أظنُّ بك أيها القارئ لكتابنا، إن كنت وفيته حقَّه من النظر، وتدبرته حق التدبر، إلا أنك قد علمت علمًا أبى أن يكون للشك فيه نصيب، وللتوقف نحوك مذهبٌ، أن ليس النظم شيئًا إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم، وأنك قد تبيَّنت أنه إذا رفع معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا تراد فيها في جملة ولا تفصيل خَرَجَتِ الكلم المنطوق ببعضها في إثر بعض في البيت من الشِّعر والفصل من النثر، عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتضٍ، وعن أن يتصور أن يقال في كلمة منها أنها مرتبطة بصاحبة لها ومتعلقة بها وكائنة بسبب منها[(١)]، وأنَّ حُسْنَ تصورك قد ثبت فيه قدمك[(٢)]، وملأ من الثقة نفسك.

فإذا ثبت الآنْ أن لا شكَّ ولا مرية في أن ليس النظم شيئًا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكام ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدِنُه ومَعَانُه[(٣)] وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غارٌّ[(٤)] نفسه بالكاذب من

(١) يعني: أنه ليس هناك رابط يربط بين الكلمات المتجاورة سوى النحو، وأنه إذا عدم هذا الرابط لم يكن هناك مسوغ لمجيء الكلمات بعضها في إثر بعض؛ لأنه ليس هناك رابط آخر يربطها، ومثال ذلك أن يكون هناك فعل واقع من فاعل ومنعدٍّ لمفعول، وقد تعلق به ظرف أو حال أو تمييز.. فهذه بعض العلاقات النحوية التي لا يقام للتركيب قائمة بدون مراعاتها.

(٢) سياق الكلام: «إلا أنك قد علمت علمًا... وأنك قد تبينت أنه... وأن حسن تصورك لذلك قد ثبت فيه قدمك... إلخ».

(٣) المعان: المباءة والمنزل.

(٤) أي أن طالب دليل الإعجاز خادع نفسه بالكاذب من الطمع إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه... إلخ.

وهذا الكلام مبني على التسليم مبدئيًا بأن إعجاز القرآن يكمن في نظمه، وأن الذي يبحث عن دليل الإعجاز من نظم القرآن لا مفر له من تتبع معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ويتعرف عليها في ذلك النظم، ولعل هذا ما وعد به الشيخ من بيان العلل التي من أجلها يفضل كلام عن كلام، ويكون لنظم مزية على نظم، لكن الكلام هنا مجمل، وكان كلام الشيخ في صدر كتابه أكثر بيانًا عندما نبَّه إلى منهج دقيق للبحث في الإعجاز يبدأ بالنظر النقدي في الشعر، وبماذا يفضل شعر شعرًا ثم ترديد =

الطمع، ومسلمٌ لها إلى الخُدَع، وأنه إن أبى أن يكون فيها كان قد أبى أن يكـون القـرآن معجـزًا بنظمه، ولزمه أن يثبت شيئًا آخر يكـون معجـزًا بـه، وأن يلحـق بأصـحاب «الصَّرْفة» فيـدفع الإعجاز من أصله، ونسأل الله العصمة والتوفيق.

[أصول بناء النظم]

[الخبر مثبتًا ومنفيًا]:

وهذه أصول يحتاج إلى معرفتها قبل الذي عمدنا له.

اعلم أن معاني الكلام كلهـا معـانٍ لا تتصـور إلا فـيما بـين شـيئين، والأصـل والأول هـو الخبر، وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع، ومن الثابت في العقول والقائم في النفـوس أنـه لا يكـون خـبر حتـى يكـون مخـبر بـه ومخـبر عنـه؛ لأنـه ينقسـم إلى إثبـات ونفـي، والإثبات يقتضي مثبتًا ومثبتًا لـه، والنفـي يقـتضي منفيًـا ومنفيًـا عنـه، فلـو حاولـت أن تتصـور إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفي عنه حاولت ما لا يصـح في عقـل ولا يقع في وهم[1]، ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر، وكان لفظك به إذا أنت لم ترد ذلك وصوتًا تصوته سواء.

وإن أردت أن تسـتحكم معرفـة ذلـك في نفسـك، فـانظر إليـك إذا قيـل لـك: «مـا فعـل زيد؟»[2] فقلت: خرج، هل يتصور أن يقع في خَلَدِك من «خرج» معنى من دون أن ينوي فيـه ضمير زيد؟ وهل تكون أن أنت زعمت أنك لم تنو ذلك إلا مخرجًا نفسك إلى الهذيان؟

ولما كان الأمر كذلك أوجب ذلك أن لا يعقل إلا من مجموع جملـة فعـل واسـم، كقولنـا: «خرج زيد»، أو اسم واسم كقولنا: «زيد منطلق»، فليس في الدنيا خـبر يعـرف مـن غـير هـذا

= النظر بين نظم الشعر ونظم القرآن لتتبين الوجوه والفروق التي يتميز بها نظم القرآن، فهنا يكمن دليل الإعجاز، ويظهر البرهان والفصل والفرقان.

(١) حاصل هذا أن الخبر مثبتًا أو منفيًا من أسس بناء النظم، والشيخ ينبِّه بهذا الكـلام إلى أن أول أصـول بنـاء النظم، وارتباط الكلم بعضه ببعض يعتمد على النحـو؛ لأن إثبـات شيء لشيء يعني أن هنـاك مثبتًـا هـو الخبر، ومثبتًا له المبتدأ، وبينها ما ترى من التعلق المعنوي، فبناء النظم يعتمـد عـلى علاقـات معنويـة يـدل النحو عليها.

(٢) هذا انتقال من الإسناد في الجملة الاسمية إلى الإسناد في الجملة الفعلية؛ إذ لا يوجد فعل مـن غـير فاعـل يقوم به، وهذه العلاقة المعنوية في بناء الجملة الفعلية يدلنا النحو عليها.

السبيل وبغير هذا الدليل، وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وأمة، وحكم يجري عليه الأمر في كل لسان ولغة.

وإذ قد عرفت أنه لا يتصور الخبر إلا فيما بين شيئين: مخبر به ومخبر عنه، فينبغي أن تعلم أنه يحتاج من بعد هذين إلى ثالث، وذلك أنه كما لا يتصور أن يكون ها هنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه، كذلك لا يتصور أن يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه، ويحصل من جهته، ويكون له نسبة إليه، وتعود التبعة فيه عليه فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صِدقًا، وبالكذب إن كان كذبًا، أفلا ترى أنه من المعلوم أنه لا يكون إثبات ونفي حتى يكون مُثْبِت ونافٍ يكون مصدرهما من جهته، ويكون هو المزجِّي لهما، والمبرم والناقض فيهما، ويكون بهما موافقًا ومخالفًا ومصيبًا ومخطئًا ومحسنًا ومسيئًا[(١)].

وجملة الأمر، أن الخبر وجميع الكلام معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض، وأعظمها شأنًا «الخبر» فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وتقع فيه الصناعات العجيبة[(٢)]، وفيه يكون -في الأمر الأعم- المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة كما شرحنا فيما تقدم، ونشرحه فيما نقول من بعد إن شاء الله تعالى[(٣)].

---

(١) حاصل هذا ضرورة وصل الخبر بصاحبه، وأن الحكم على الكلام بالصحة أو الخطأ، والحسن أو القبح، والصدق أو الكذب هو حكم على صاحبه الذي يتحمل تبعة كلامه؛ لأنه تعبير عن فكره ووساوس نفسه وعقله، وكان الشيخ يواجه بهذا اتجاهين، الأول: اتجاه المناطقة الذين يحكمون بالصدق أو الكذب على الخبر لذاته، والثاني: اتجاه اللفظيين وما يترتب على نظرتهم اللفظية من قطع الصلة بين الكلام وأغراضه المعنوية النابعة من نفس المتكلم، فهذا الاتجاه اللفظي يقطع الصلة بين الكلام وقائله، ويرسل يد المتلقي في النص ليفسد مقاصده، واتجاه عبد القاهر عكس هذا؛ لأنه يربط بين الخبر وقائله وماذا يقصد.

(٢) هذا ربط دقيق بين النظم الذي يعد الخبر أساسه وبين المعاني المقصودة والأغراض المطلوبة، وأن النظم يتصرف على وجوه شتى بحسب تلك الأغراض، وأنه من المحال معرفة كل ذلك إلا من معاني النحو الكامنة في ذلك النظم.

(٣) يقصد ما سبق من حديثه عن الفروق في الخبر كالفرق بين التعبير بالاسم والتعبير بالفعل، والفرق بين التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير... إلخ، وما يترتب على تلك الفروق من مزايا مرتبطة بالأغراض، أما شرحه ذلك فيما بعد وفيما سيأتي، فإنا لا نجد فيما جاء بعد ذلك إلا حديثًا عن نسبة الشيء للشيء، وأنها ليست نسبة لفظية، ولكنها نسبة معنوية؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني. ثم ينتقل إلى المفعول ليثبت أنه ليس زيادة في الفائدة، وهكذا يمضي الشيخ حتى ينتهي من كتابه دون أن يحقق ما وعد به من شرح تلك المزايا، ويبدو أن الأجل لم يمهله ليتم ما أراد.

[توهم أن المفعول زيادة في الفائدة، والاحتجاج لبطلانه]

ومما ينبغي أن يحصل في هذا الباب أنهم قد أَصَّلوا في المفعول وكل ما زاد على جزئي الجملة أنه يكون زيادة في الفائدة، وقد يتخيل إلى من ينظر إلى ظاهر هذا من كلامهم أنهم أرادوا بذلك أنك تضم بها تزيده على جزئي الجملة فائدة أخرى، وينبني عليه أن ينقطع عن الجملة حتى يتصور أن يكون فائدة على حِدَةٍ[(١)]، وهو ما لا يعقل؛ إذ لا يتصور في «زيد» من قولك: «ضربت زيدًا» أن يكون شيئًا برأسه، حتى تكون بتعديتك «ضربت» إليه قد ضممت فائدة إلى أخرى. وإذا كان ذلك وجب أن يعلم أن الحقيقة في هذا أن الكلام يخرج بذكر المفعول إلى معنى غير الذي كان، وأن وِزَانَ الفعل قد عدي إلى مفعول معه، وقد أطلق فلم يقصد به إلى مفعول دون مفعول، وزان الاسم المخصص بالصفة مع الاسم المتروك على شَيَاعِه كقولك: «جاءني رجل ظريف» مع قولك: «جاءني رجل» في أنك لست في ذلك كمن يضم معنًى إلى معنى، وفائدة إلى فائدة، ولكن كمن يريد ها هنا شيئًا وهناك شيئًا آخر[(٢)]. فإذا قلت: «ضربت زيدًا» كان المعنى غيره إذا قلت: «ضربت» ولم ترد «زيدًا».

وهكذا يكون الأمر أبدًا كلما زدت شيئًا وجدت المعنى قد صار غير الذي كان، ومن أجل ذلك صلح المجازاة بالفعل الواحد إذا أتى به مطلقًا في الشرط ومعدى إلى شيء في الجزاء، كقول تعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ**﴾ [الإسراء: ٧]، وقوله ﷻ: ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**﴾ [الشعراء: ١٣٠]، مع العلم بأن الشرط ينبغي أن يكون غير الجزاء من حيث كان الشرط سببًا والجزاء مسببًا، وأنه محال أن يكون الشيء سببًا لنفسه[(٣)]، فلو لا أن المعنى في

(١) أي: يحقق فائدة قائمة بذاتها، وهي زائدة منقطعة عما يفيده الخبر.. هذا فهم من أخذ بظاهر كلام السابقين.

(٢) يعني مثل الفعل، وقد عدي إلى مفعول تارة وترك تعديته تارة أخرى كمثل الاسم، وقد خصص بالصفة تارة وترك تخصيصه تارة أخرى في أنك حين تعدي الفعل أو تخصص الاسم، فأنت في ذلك لا تضم معنى إلى معنى وفائدة إلى فائدة، ولكن تريد معنى آخر مختلفًا عما لو تركت التعدية أو تركت التخصيص، فنحو «ضربت زيدًا» يفيد معنى مختلفًا عن «ضربت» ولا نقول: إن المفعول زيادة في الفائدة، مثلما نقول: إن «جاءني رجل ظريف» يفيد معنى مختلفًا عن «جاءني رجل».

(٣) هذه حجة قوية على أن الجملة مع المفعول تفيد معنى مختلفًا عن الجملة من غير المفعول، وحاصل هذه الحجة: مجيء الجواب والشرط بفعل واحد؛ لأنه في الشرط مطلق وفي الجواب مقيد؛ كقوله تعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ**﴾، ووجه الاستدلال بهذا أن الشرط غير الجواب حتمًا؛ لأنهما كالسبب والمسبب وهما مختلفان فدل هذا على أن الفعل مطلقًا في الشرط غير الفعل مقيدًا في الجواب، والفعل مطلقًا في الشرط مثل «ضربت»، والفعل مقيدًا في الجواب مثل «ضربت زيدًا».

في «أحسنتم» الثانية غير المعنى في الأولى، وأنها في حكم فعل ثانٍ لما ساغ ذلك كما لا يسوغ أن تقول: «إن قمت قمت، وإن خرجت خرجت»، ومثله من الكلام قوله: «المرء بأصغريه إن قال قال ببيان، وإن صال صال بجنان»[(١)]، ويجري ذلك في الفعلين قد عديا جميعًا إلا أن الثاني منهما قد تعدى إلى شيء زائد على ما تعدى إليه الأول، ومثاله قولك: «إن أتاك زيد أتاك لحاجة» وهو أصل كبير، والأدلة على ذلك كثيرة، ومن أولاها بأن يحفظ: أنك ترى البيت قد استحسنه الناس وقضوا لقائله بالفضل فيه، وبأنه الذي غاص على معناه بفكره، وأنه أبو عُذْرِه[(٢)]، ثم لا ترى ذلك الحسن وتلك الغرابة كانا إلا لما بناه على الجملة دون نفس الجملة، ومثال ذلك قول الفرزدق:

وما حَمَلَتْ أمُّ امرئٍ في ضلوعها أَعَقَّ من الجاني عليها هِجائيَا[(٣)]

فلولا أن معنى الجملة يصير بالبناء عليها شيئًا غير الذي كان، ويتغير في ذاته لكان محالاً أن يكون البيت بحيث تراه من الحسن والمزية[(٤)]، وأن يكون معناه خاصًّا بالفرزدق، وأن يُقْضَي له بالسبق إليه؛ إذ ليس في الجملة التي بني عليها ما يوجب شيئًا من ذلك؛ فاعرفه.

والنكتة التي يجب أن تراعي في هذا أنه لا تتبين لك صورة المعنى الذي هو معنى الفرزدق إلا عند آخر حرف من البيت، حتى إن قطعت عنه قوله «هجائيًا»، بل «الياء» التي هي ضمير الفرزدق لم تكن الذي تعقله منه مما أراده الفرزدق بسبيل؛ لأن غرضه تهويل أمر هجائه والتحذير منه، وأن من عرَّض أمَّه له كان قد عرَّضها لأعظم ما يكون من الشر.

---

(١) والشاهد: أنه قد أتى بالفعل الواحد في الشرط والجواب؛ لأنه في الشرط مطلق، وفي الجواب مقيد، والشرط غير الجواب حتمًا، و«إن قال» وزان «ضربت»، و«قال ببيان» وزان «ضربت زيدًا»، وهذا يدل على أن الفعل عندما يأتي متعديًا للمفعول يفيد معنى مختلفًا عن الفعل عندما لا يتعدى.

(٢) هذا من استدعاء المثل العربي: «لا تنسى الشيباء أبا عذرها»، ومعناه: مهما كبرت المرأة لا تنسى بعلها الذي افترعها وفضَّ بكارتها، والمقصود هنا أنه أول من اخترع المعنى وافترعه وابتكره.

(٣) المعنى: يا ويل من هجوته ويا ويل أمه، وما حملت أم في ضلوعها أعق من ذلك الذي جنى عليها وعرضها لشر هجائي، وفي ذلك تعريض بالفاحش من الهجاء وتهديد وتحذير لمن يهيج عليه الشاعر.
والشاهد أن هذه المعاني من تعريض وتشنيع وتهديد لا تدل عليه الجملة الأساس «وما حملت أم امرئ»، وإنما يفهم من المتعلقات التي بنيت عليها من الجار والمجرور «في ضلوعها» إلى المفعول «هجائيا».

(٤) يعني لو اقتصر المعنى على قوله: «وما حملت أم امرئ» ما كان ذلك الحسن الذي تراه بعد البناء عليه بتلك المتعلقات.

وكذلك حكم نظائر ه من الشِّعر، فإذا نظرت إلى قول القطامي:

فهــنّ يَنْبِــذن مــن قــولٍ يُصِــبْن بــه … مواقـعَ المـاء مِـنْ ذي الغُلّـةِ الصَّـادي(١)

وجدتك لا تحصل على معنى يصح أن يقال: إنه غرض الشاعر ومعناه إلا عند قوله: «ذي الغُلة».

ويزيدك استبصارًا فيما قلناه أن تنظر فيما كان من الشعر جُملاً قد عُطِفَ بعضها على بعض بـ«الواو» كقوله:

الـــنَّشرُ مِسْـــكٌ والوجـــوه دنـــا … نـــيُر وأطـــراف الأكـــفِّ عَـــنَمْ(٢)

وذلك أنك ترى الذي تعقله من قوله: «النشر مسك »، لا يصير بانضمام قوله: «والوجوه دنانير» إليه شيئًا غير الذي كان، بل تراه باقيًا على حاله، كذلك ترى ما تعقل من قوله: «والوجود دنانير» لا يلحقه تغيير بانضمام قوله: «وأطراف الأكف عَنَمْ» إليه(٣).

وإذ قد عرفت ما قرَّرناه من أن من شأن الجملة أن يصير معناها بالبناء عليها شيئًا غير الذي كان، وأنه يتغير في ذاته؛ فاعلم أن ما كان من الشعر مثل بيت بشار:

كـأن مُثـارَ النقـعِ فـوق رءوسـنا … وأسـيافنَا ليـلٌ تهَـاوى كواكبُـه(٤)

(١) الغلة: حرارة الجوف من العطش، والصادي: العطشان، و«هن ينبذن من قول» أي: يلحن في القول لحنًا يجعله في التأثير كالنبيذ، والنفوس تظل في توقٍ إلى ذلك القول حتى يقع منها موقع الماء من الظمآن الصادي، وهذا من الترقي في التصور تبعًا للترقي في المعنى؛ لأن حاجة الظمآن للماء أشد من حاجة النشوان للنبيذ.
والشاهد أن المعنى المقصود لا يتم إلا بالمتعلقات من قوله: «يصبن» إلى «ذي الغلة»، وإن شئت فقل بحسب مراد عبد القاهر: إن الخبر وحده يفيد معنى، فإذا روعي ما بني عليه من متعلقات وجدنا ذلك المعنى قد تغيَّر وأفاد معنى آخر.

(٢) هذه تشبيهات متعددة مفروقة لا يتوقف معنى الأول على الثاني، ولا الثاني على الثالث، وقد استشهد به الشيخ لبيان أنه غير ما سبق من توقف تمام المعنى على المتعلقات، ولا توجد هنا متعلقات حتى يتوقف المعنى عليها، [راجع: تحليل البيت في «أساليب البيان والصورة القرآنية» للمؤلف ١٢٩].

(٣) ها هنا لفتة مهمة إلى أثر المتعلقات في تماسك البناء الكلامي بخلاف ما لو كان البيت من عدة جمل تامة لم يبن عليها شيء من المتعلقات، فإن بناء الكلام يكون أقل تماسكًا كما في النشر مسك...، وعبد القاهر لا ينظر إلى البيت من جهة ما فيه من تشبيهات، ولكن من جهة كونها معانٍ مستقلة.

(٤) يشبه صورة مركبة من حركة السيوف البراقة التي تعلو وتهبط وسط ظلام الغبار المثار بصورة مركبة من حركة الكواكب المضيئة التي تهاوت، فاستطالت واختلفت جهات حركاتها في ظلمة الليل.
والشاهد: أن المعنى لا يتم إلا بالمشبه به الذي وقع خبرًا في نهاية البيت «ليل تهاوي كواكبه».

وقول امرئ القيس:

كـــأن قلـــوب الطـــير رطبًـــا ويابسًـــا لـدى وكْرِهـا العُنَّابُ والحشـفُ البـالي[١]

وقول زياد:

وإنـــا ومـــا تَلْقـــي لنـــا إن هجوتنـــا لكـالبحر مهـما يُلْـقَ في البحـرِ يَغْـرَقِ[٢]

كان له مزية على قول الفرزدق فيما ذكرنا؛ لأنك تجد في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى، وإن لم يكن معنى يصح أن يقال: إنه معنى فلان، ولا تجد في صدر هذه الأبيات ما يصح أن يعد جملة تؤدي معنى، فضلاً عن أن تؤدي معنى يقال: إنه معنى فلان[٣]؛ ذاك لأن قوله: «كأن مثار النقع» إلى «وأسيافنا» جزء واحد، و«ليل تهاوي كواكبه» بجملته الجزء الذي ما لم تأت به لم تكن قد أتيت بكلام.

وهكذا سبيل البيتين الآخرين، فقوله: «كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا لدي وكرها» جزء، وقوله: «العناب والحشف البالي»، الجزء الثاني وقوله: «إنا وما تلقي لنا إن هجوتنا» جزء، وقوله: «لكالبحر» الجزء الثاني[٤]، وقوله: «مهما تلق في البحر يغرق»، وإن كان جملة مستأنفة ليس لها في الظاهر تعلق بقوله: «لكالبحر»، فإنها لما كانت مبيِّنة لحال هذا التشبيه

(١) يصف مهارة طائر العقاب في الصيد حتى ترى آثار ضحاياه: قلوب طير متناثرة حول عشه، فمنها الرطب الحديث عهد بصيد، ومنها اليابس البعيد عهد بصيد، فالأول يُشْبه العناب، والثاني يشبه الحشف البالي، والشاهد: أن المعنى لا يتم إلا بالمشبه به في نهاية البيت.

(٢) أي: حالنا معك في تحملنا لأذاك وصبرنا عليك كالبحر الذي يبتلع كل ما يلقى فيه، وعلى ذلك فإن هذه الأبيات يجمع بينها أن المعنى لا يتم إلا بالمشبه به الذي وقع خبرًا في نهاية البيت أو قرب النهاية، وأن المشبه الذي امتد بها بني عليه لا يكفيه ما بني عليه، وإنما يظل في انتظار المشبه به الذي يقع نهاية البيت.

(٣) أي أنك تجد في صدر بيت الفرزدق قوله: «وما حملت أم امرئ»، وهو معنى تام، لكنه ليس ما قصده الفرزدق؛ لأن ما قصده لا يتصور إلا مع نهاية البيت.

(٤) حاصل هذا أن تلك الأبيات الثلاثة لها مزية على بيت الفرزدق هي شدة الاتصال؛ لأن في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى، ولو لم يكن هو غرض الشاعر، لكن صدور هذه الأبيات تنتظر أعجازها لتتمم معانيها، وهذا أدعى لشدة اتصال الأعجاز بالصدور، وهذا عند عبد القاهر من النمط العالي والباب الأعظم الذي يتحد فيه أجزاء النظم.

ومع أن المتعلقات المبنية على الجملة الأساس تؤدي إلى معنى جديد لا تؤديه الجملة الأساس وحدها، وتؤدي إلى تماسك البناء، فإن ذلك البناء يكون أقوى تماسكًا فيما لو كان عجز البيت هو المتمم للمعنى كما في الأبيات الثلاثة.

صارت كأنها متعلقة بهذا التشبيه، وجَرَى مجرى أن تقول: «لكالبحر في أنه لا يلقي فيه شيء إلا غرق».

فصل من
الخبر وما يتحقق به الإسناد

وإذا ثبت أن الجملة إذا بني عليها حصل منها ومن الذي بني عليها في الكثير معنى يجب فيه أن ينسب إلى واحد مخصوص، فإن ذلك لا محالة أن يكون الخبر في نفسه معنى هو غير المخبر به والمخبر عنه، ذاك لعلمنا باستحالة أن يكون للمعنى المخبر به نسبة إلى المخبر، وأن يكون المستنبط والمستخرج والمستعان على تصويره بالفكر.

فليس يشك عاقل أنه محال أن يكون للحمل في قوله: «وما حملت أم امرئ في ضلوعها» نسبة إلى الفرزدق، وأن يكون الفكر منه كان فيه نفسه، وأن يكون معناه الذي قيل: إنه استنبطه واستخرجه وغاص عليه، وهكذا السبيل أبدًا، لا يتصور أن يكون للمعنى المخبر به نسبة إلى الشاعر، وأن يبلغ من أمره أن يصير خاصًّا به، فاعرفه[١].

ومن الدليل القاطع فيه ما بيَّناه في الكناية والاستعارة والتمثيل وشرحناه، من شأن هذه الأجناس أن توجب الحسن والمزية، وأن المعاني تتصور من أجلها بالصور المختلفة، وأن العلم بإيجابها ذلك ثابتٌ في العقول، ومركوز في غرائز النفوس، وبيَّنا كذلك أنه محال أن تكون المزايا التي تحدث بها حادثة في المعنى المخبر به المثبت أو المنفي، لعلمنا باستحالة أن تكون المزية التي تجدها لقولنا: «هو طويل النجاد» على قولنا: «طويل القامة» في الطول[٢]، والتي تجدها لقولنا: «هو كثير رماد القدر» على قولنا: «هو كثير القرى والضيافة» في كثرة

(١) حاصل هذا أن معاني المفردات «كالمخبر به والمخبر عنه» من وضع اللغة، وليست من أوضاع المتكلمين، وأن الذي يضعه المتكلم هو الإثبات وما يبنى عليه، ويريد الشيخ من هذا أنه لا مزية للمفردات؛ لأنها من وضع اللغة، وهي متاح لكل متكلم، وإنما تكون المزية للإثبات الذي ينسب للمتكلم، وتختلف طريقته من متكلم لآخر، ثم يستدل على هذا بالكناية والاستعارة والتمثيل؛ لأنها تتناول المعاني في صور مختلفة تتيح إبراز المزايا والفروق، وهي تنسب إلى قدرات المتكلمين، ولا يمكن أن تكون مزاياها في معانيها المفردة أو المجردة.

(٢) «في الطول» جار ومجرور متعلق بـ«تكون»، أي: محال أن تكون المزية في الطول، ولكن في إثبات الطول له بواسطة الكناية.

القرى، وإذا كان ذلك محالاً ثبت أن المزية والحسن يكونان في إثبات ما يراد أن يوصف به المذكور والإخبار به عنه، وإذا ثبت ذلك ثبت أن الإثبات معنى[١] لأن حصول المزية والحسن فيما ليس بمعنى محال[٢].

***

(١) أي: معنى تام.

(٢) هذا يعني أن محور حديث الشيخ هنا هو الإثبات؛ لأنه أساس النظم الذي يرد الإعجاز إليه.
وهناك فصل تالٍ -في بضع صفحات- في الخبر وما يتحقق به الإسناد، [راجع: دلائل الإعجاز بتعليق محمود شاكر من ٥٣٩ :٥٤٥]، وهو لا يزيد عن كونه تكرار لما سبق، وفي إثباته عبث، وقد نبَّه الشيخ محمود شاكر إلى ذلك التكرار، وذكر أنه لا ضير من إثباته كما أثبته رشيد رضا، وهذا الفصل المكرر أكثره ليس موجودًا في المخطوطة (ج) كما ذكر محمود شاكر ص(٥٣٨)، ويبدو أنه زيادات النسخ الأخرى أو أن صاحب النسخة (ج) تركه لما لاحظه من تكرار، وأنه لا يضيف شيئًا.

obeikandl.com

إدراك البلاغة بالذوق وإحساس النفس[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أنك لن ترى عجبًا أعجب من الذي عليه الناس في أمر النظم، وذلك أنه ما من أحد له أدنى معرفة إلا وهو يعلم أن ها هنا نظمًا أحسن من نظم، ثم نراهم إذا أنت أردت أن تبصِّرهم ذلك تَسْدَر أعينهم[٢]، وتضل عنهم أفهامهم، وسبب ذلك أنهم أول شيء عدموا العلم به نفسه[٣]، من حيث حسبوه شيئًا غير توخي معاني النحو، وجعلوه يكون في الألفاظ دون المعاني، فأنت تلقي الجهد حتى تميلهم عن رأيهم؛ لأنك تعالج مرضًا مزمنًا وداءً متمكنًا، ثم إذا أنت قُدتهم بالخزائم[٤] إلى الاعتراف بأن لا معنى له غير توخي معاني النحو، عرض لهم من بعد خاطر يدهشهم حتى يكادوا يعودون إلى رأس أمرهم، وذلك أنهم يروننا ندعي المزية والحسن لنظم كلام من غير أن يكون فيه من معاني النحو شيء يتصور أن يتفاضل الناس في العلم به، ويروننا لا نستطيع أن نضع اليد من معاني النحو ووجوهه على شيء نزعم أن من شأن هذا أن يوجب المزية لكل كلام يكون فيه، بل يروننا ندعي المزية لكل ما ندعيها له من معاني النحو ووجوهه وفروقه في موضع دون موضع، وفي كلام دون كلام، وفي الأقل دون الأكثر، وفي الواحد من الألف، فإذا رأوا الأمر كذلك، دخلتهم الشبهة وقالوا: كيف يصير المعروف مجهولاً؟ ومن أين يتصور أن يكون للشيء في كلام مزية عليه في كلام آخر بعد أن تكون حقيقته فيهما حقيقة واحدة؟[٥]

---

(١) سيأتي في هذا الفصل من كلام الشيخ ما يدل على أنه قصد بهذا العنوان أن خصائص البلاغة المعجزة التي تكمن في نظم القرآن إنما تدرك بالذوق وإحساس النفس؛ لأن هذه الخصائص أمور خفية ومعانٍ روحانية تحتاج من السامع إلى ذوق حساس وفطنة تساعده على التقاط تلك الخصائص، وقد أفاد السكاكي من هذا الفصل إفادة إجمالية حين ردَّ إدراك الإعجاز إلى الذوق وليس غيره.

(٢) سَدِرَ بصره يسدَر سدرًا: تحيَّر فلم يكد يبصر.

(٣) أي: عدموا فهم النظم، فكيف يفهمون أن نظمًا يتميز عن نظم إذا كان مفهوم النظم نفسه غائمًا في عقولهم.

(٤) أي: حملتهم على الاعتراف، وأصل الخزائم: جمع خِزامة وهي حلقة من شعر تجعل في أنف البعير ليشد بها الزمام حتى ينقاد.

(٥) حاصل هذا أن الذين يشككون في مرجع المزية إلى معاني النحو يحتجون بأن ادعاء المزية في شيء من هذه المعاني لا يطرد فيه، فالمزية لا تطرد في كل تقديم مثلاً أو في كل تنكير، وهو احتجاج يدل على عدم =

فإذا رأوا التنكير يكون فيما لا يحصى من المواضع ثم لا يقتضي فضلاً، ولا يوجب مزية اتهمونا في دعوانا ما ادعيناه لتنكير الحياة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة:١٧٩] من أن له حسنًا ومزيةً، وأن فيه بلاغة عجيبة(١)، وظنوه وهمًا منا وتخيلاً.

[مزايا النظم أمور خفية ومعانٍ روحانية تستلزم ذوقًا حساسًا]

ولسنا نستطيع في كشف الشبهة في هذا عنهم، وتصوير الذي هو الحق عندهم ما استطعناه في نفس النظم؛ لأنا ملكنا في ذلك أن نضطرهم إلى أن يعلموا صحة ما نقول، وليس الأمر في هذا كذلك(٢)، فليس الداء فيه بالهين، ولا هو بحيث إذا رمت العلاج منه وجدت الإمكان فيه مع كل أحد مسعفًا، والسعي منجحًا؛ لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعانٍ روحانية أنت لا تستطيع أن تنبِّه السامع لها، وتحدث له علمًا بها حتى يكون مهيئًا لإدراكها، وتكون فيه طابعة قابلة لها، ويكون له ذوقٌ وقريحةٌ يجد لها في نفسه إحساسًا بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة، ومن إذا تصفح الكلام وتدبر الشعر فرَّق بين موقع شيء منها وشيء، ومَن إذا أنشدته قوله:

لي منك ما للناس كلّهمُ نَظَرٌ وتسليمٌ على الطّرُقِ(٣)

= معرفة بخصوصية السياقات، وأن التقديم قد يكون له مزية في سياق ولا تكون له في سياق آخر، وكذلك التنكير.

(١) تنكير «حياة» في هذه الآية فيه ما فيه من التفخيم والتعظيم من شأن تلك الحياة، وأنها حياة آمنه مطمئنة، وهذه المزية مرتبطة باستعمال هذه الكلمة في معنى معين وسياق خاص، وأنه ليس من اللازم أن نجد نفس المزية في كلِّ تنكير حتى يتعلق من تعلق بعدم اطراد تلك المزية.

(٢) هذا الكلام يعني أمرين:

الأول: ثقة الشيخ فيما قاله قبل في النظم ووجوهه ومعانيه وفروقه، وأنه قد ذكر في ذلك الأدلة والبراهين التي لا ترد، والتي ألجأتهم إلى العلم بصحة ما يقول.

الثاني: أنه ليس الأمر كذلك فيما يتعلق بمزايا النظم التي يرد إليها الإعجاز؛ لأن تلك المزايا تتعلق بأمور خفية ومعانٍ روحانية تستلزم ذوقًا حساسًا، وطبيعة قابلة لإدراك هذه المزايا، وفي هذا تعريض بافتقاد الذين وقعت لهم الشبهة إلى ذلك الذوق وتلك الطبيعة القابلة، وأن الصعوبة تكمن في أنهم غير مهيئين لإدراك تلك المزايا، والشيخ لا يقصد بالمزايا هنا ظاهر معاني النص، وإلا فماذا يعني بالأمور الخفية والمعاني الروحانية سوى ثمرات الخصوصيات التي يدركها أولو الألباب.

(٣) البيت في معجم الشعراء -لأبي عمارة المكي- طبعة ثانية بالمكتبة العلمية، بيروت، وهو زفرة متحسِّر لأنه -على حبه لتلك المرأة- يرى نفسه كسائر الناس لا يحظى منها بشيء سوى نظر وتسليم، وسياق الصورة الكلية هو الذي ينبِّه لقيمة التنكير والحذف في هاتين الكلمتين، يقول الشاعر: =

وقول البحتري:

وسأستقِلّ لك الدموعَ صبابةً ... ولو انَّ دجلةَّ لي عليك دموع(١)

وقوله:

رأتْ فلتاتِ الشيْبِ فابتسمتْ لها ... وقالت: نجومٌ لو طَلَعْنَ بأسْعُد(٢)

=

= يا مَن بدائع حُسن صورتِهِ ... تَثنى إليه أعِنّةَ الحَدَقِ
لي منك ما للناس كُلهم ... نظرٌ وتسليمٌ على الطرقِ
لكنهم سعدوا بأمنهم ... وشقيت حين أراك بالفَرَقِ
سَلموا من البلوى ولي كبد ... حَرَّى ودمعة هائمٍ مَلِقِ

فهذه الأبيات تعكس تجربة صادقة لمحب صامت يتلظى بحب من لا يعلم بحبه شيئًا، ورغم الحسن البديع الذي يثني إليه كل العيون، فإن الشاعر كان يتمنى أن يكون له شيء يخصه يخفف لوعته. وجو الأبيات المتحسر يدل على ما في تنكير «نظر وتسليم» من التقليل، فإنه نظر خاطف لا يروي ظمأه، وتسليم عابر لا يحصل منه على شيء، ناهيك عن الحذف وتقديره: نظر إليك وتسليم عليك، وهو حذف يقوّي الإحساس بسرعة النظر والتسليم، ووراء ذلك ما وراءه من الحسرة واللوعة؛ لأنه يهيم بمن لا يعبأ به ولا يعلم عنه شيئًا، وهذا المعنى النفسي الخفي وراء مزايا النظم هو ما قصده عبد القاهر بالأمور الخفية والمعاني الروحانية والتي كانت غايته من تعليل المزايا.

(١) هذا من الرثاء الصادق الذي يرى الشاعر فيه دموعه قليلة بالقياس إلى حزنه العظيم، والمعنى أنه سيظل يستقل تلك الدموع، ولو كان له منها مثل مياه دجلة؛ لأن المرثي جدير بالوفاء، ويرى الشيخ أن قوله: «لي عليك دموع» يشبه السحر، وأن ذلك من أجل تقديم «لي» على «عليك»، ثم تنكير الدموع، وربما تلمح المزية عند التحول بـ«لو» من الشرطية إلى التمني، كأنه بعد أن ذكر قلة الدموع تمنى أن يكون له منها مثل مياه دجلة ليزرفها وفاءً بحق المرثي وتخفيفًا من ثقل الأحزان، وحينئذٍ يكون تقديم «لي» ليجاور دجلة، ويكون فيه دلالة على صدق اللهفة لما يتمناه، ويكون في تنكير دموع دلالة على الكثرة الكاثرة التي تفي بوفائه، وتخفف عن معاناته، وعلى ذلك فالأمور الخفية والمعاني الروحانية هي معانٍ نفسية وراء المزايا.

(٢) فلتات الشباب: أول ما يسرع من الشيب، أسعد: جمع سعد، مثل سقف وأسقف، والسعد كناية عن الشباب، والباء للمصاحبة والاقتران، أي: لو اقترن طلوع تلك النجوم -أي: ظهور تلك الشعرات البيض- بجمال الشباب وقوته، فهذا التمني يعكس الإحساس بالتباين بين تألق فلتات الشيب «نجوم» وأفول الشباب وقوته، ولا شكَّ أن الجمع بين جمال تلك الشعرات البيض وجوهر الشباب وقوته أمر عزيز، ولهذا تمنته بـ«لو» الدالة على الحسرة والزفرة، ولعل هذا المعنى النفس مرتبط باستعارة نجوم وتنكيره ومرتبط بذلك التمني، ولعل هذا هو مراد عبد القاهر من رد المزايا إلى أمور خفية ومعانٍ روحانية.

وقول أبي نواس:

ركـبٌ تسـاقَوا عـلى الأكـوار بيـنهَمُ ... كأسَ الكرى فانتشى المسقيُّ والساقي
كـأن أعنـاقهم والنـوم واضِـعُها ... عـلى المناكـب لم تُعْمـد بأعنـاقِ[1]

وقوله:

يـا صـاحبيَّ عصَـيْتُ مُصْـطَبحا ... وغـدوتُ للـذَّات مطّرحـا
فتـزوَّدوا منـي محادثـةً ... حَـذَرُ العصـا لم يُبْـقِ لي مَرحَـا[2]

وقول إسماعيل بن يسار:

حتـى إذا الصـبح بَـدَا ضـوؤه ... وغابـتِ الجـوزاءُ والمِـرْزَمُ
خرجـتُ والـوطءُ خفـيٌّ كـما ... ينسـاب مـن مَكْمَنِـهِ الأرقـمُ[3]

أنِقَ لها[4]، وأخذته الأريحية عندها، وعرف لطف موقع الحذف والتنكير في قوله: «نظر

(١) هذه الصورة مظللة بالإيحاءات النفسية، ففيها طول سفر وسهر وتعب، وقد قاوموا الكرى –النعاس– بتجاذب أطراف الحديث، وهم يعتلون ظهور المطايا حتى غلبهم النوم وغالوا فيه، فاستلقت أعناقهم على المناكب حتى لا ترى لهم أعناقًا من شدة الاسترخاء، وهي صورة تبعث على أحاسيس ممتزجة من الشفقة والارتياح والاندهاش مع طول التأمل وفي البيت الأول صور النوم بالخمر ورمز له بالكأس الذي يدور بينهم، وهناك مناسبة شديدة بين النوم والخمر وفي الانتشاء سكرة تعكس حلاوة النوم بعد التعب والتشبية في البيت الثاني فيه خيال طريف لشدة استلقاء الرءوس على المناكب وكأنها لم تتصل بأعناق.

(٢) البيت الأول كناية عن استغراق اللذات له سائر أوقاته، والحسن كله في الشطر الأخير، وفيه صورة مبتكرة هي «جذر العصا» كناية عن الشيخوخة، فهو يحذرها لارتباطها بالضعف والحاجة للاستعانة بالعصا، وإسنادها إلى جملة «لم يبق لي مرحًا» يومئ إلى معنى نفسي إنساني هو أن حذر الشيخوخة أو الإحساس بقربها يعكر صفو اللذات، لاسيما وقد جسد تلك المرحلة بمظهرها المؤلم وهو الاستعانة بالعصا.

(٣) من عادة الشعراء عندما يذكرون غدوهم من عند الأحبة مع طلوع الصبح أن يجتهدوا في وصف التخفي عن أعين الرقباء، وقد نجح ابن يسار في تشبيه تسلله وحركة أقدامه المستخفية بانسياب الأرقم من مكمنه، ولك أن تتخيل الحية وهي تنساب من مكمنها في خفة وخفية، وذلك التشبيه ينبئ بعدم الشعور بالرضا من فعلاته ونزواته كما يدل عليه تخير الأرقم.

ومثل هذه الظلال النفسية الكامنة وراء صور المعاني وبنائها هي من المزايا التي ذكر عبد القاهر أنها أمور خفية ومعانٍ روحانية، وهي أمور لا تلحظ إلا عندما يسرح الإنسان بخياله، ويتروى ويتأمل فيما وراء الصور وكيفيات النظم.

(٤) «أنق لها»: تعجب واستحسن، ويقصد بذلك ما سبق من الشواهد.

«نظر وتسليم على الطرق».

وما في قول البحتري: «لي عليك دموع» من شبه السِّحر، وأن ذلك من أجل تقديم «لي» على «عليك»، ثم تنكير «الدموع»، وعرف كذلك شرف قوله:

وقالت: نجومٌ لو طلعن بأسعد[١]

وعلو طبقته، ودقة صنعته.

[أهمية الذوق للمبدع والناقد معًا]

والبلاء والداء العَياء أن هذا الإحساس[٢] قليل في الناس حتى إنه ليكون أن يقع للرجل الشيء من هذه الفروق والوجوه في شعر يقوله أو رسالة يكتبها الموقع الحسن، ثم لا يعلم أنه قد أحسن[٣]، فأما الجهل بمكان الإساءة فلا تعدمه، فلست تملك إذًا من أمرك شيئًا حتى تظفر بمن له طبعٌ إذا قدحته وَرِي، وقلبٌ إذا أَرَيْتَهُ رأى، فأما وصاحبك من لا يرى ما تُرِيه، ولا يهتدي للذي تهديه، فأنت رامٍ من غير مرمى، ومُعَنٍّ نفسك من غير جدوى، وكما لا تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له، كذلك لا تُفهِم هذا الشأن من لم يُؤت الآلة التي بها يفهم[٤]، إلا أنه إنما يكون البلاء إذا ظنَّ العادم لها أنه أوتيها، وأنه ممن يكمل للحكم، ويصحُّ منه القضاء، فجعل يقول القول لو علم غِبَّه لاستحيى منه، فأما الذي يحسن بالنقص من نفسه، ويعلم أنه قد عدم علمًا قد أوتيه من سواه، فأنت منه في راحة، وهو رجل عاقل قد حماه عقله

(١) راجع: تحليل هذه الأشياء في الصفحة السابقة والتي قبلها.

(٢) يقصد الذوق والإحساس الذي يدرك به جوهر الشعر ولمحاته الخفية وراء الظاهر من صوره ونظمه، وذلك الذوق لا يمكن ضبطه، ولا يمكن تقنينه، ولكنه هبة يمنحها الله لمن يشاء كموهبة الشعر والإبداع، لذلك كان الناقد البصير الذي يملك ذلك الإحساس مبدعًا كالشاعر، ومن اليسير عليه أن يتقمص تجربة الشاعر، وأن يستبطن أحاسيسه ولمحاته الخفية.

(٣) يعني هذه اللمحات الخفية والمعاني الروحانية التي تلمح من وراء الصور والنظم قليلة؛ لأنها ليس لها قانون ولا هي مكتسبة، فلا تأتي بالتعليم، ولكنها ثمرة إحساس وثمرة طبع مغروس، وهذا سبب قلتها، ومن سماتها أن الكاتب أو الشاعر يأتي بمثل هذه اللمحات وهو لا يعلم أنه أتى بها ولا يعلم أنه قد أحسن؛ لأنها ليست نتيجة صنعة مكتسبة يعمد إليها الشاعر، ثم يأتي الناقد البصير، فتستوقفه مثل هذه اللمحات، وعلى العكس من هذا قد يقع في الشعر مغمز فلا ينتبه الناقد إليه إلا إذا كان ذا حس بصير، وستأتي شواهد تدل على هذا.

(٤) يعني كما لا يكون الشاعر شاعرًا إلا بموهبة وذوق مطبوع، فإن الناقد كذلك لا يكون ناقدًا إلا بالآلة التي بها يفهم الشعر ويتذوقه، ويقصد بالآلة: الطبع المدرب المصقول بطول الممارسة والمدارسة.

أن يعدو طوره، وأن يتكلف ما ليس بأهل له.

وإذا كانت العلوم التي لها أصول معروفة، وقوانين مضبوطة قد اشترك الناس في العلم بها، واتفقوا على أن البناء عليها إذا أخطأ فيها المخطئ ثم أعجب برأيه لم تستطع رده عن هواه، وصرفه عن الرأي الذي رآه إلا بعد الجهد، وإلا بعد أن يكون حصيفًا عاقلاً ثبتًا إذا نبِّه انتبه، وإذا قيل: إن عليك بقية من النظر وقف وأصغى، وخشي أن يكون قد غُرَّ، فاحتاط باستماع ما يقال له، وأنف من أن يَلَجَّ من غير بينة، ويستطيل بغير حجة، وكان من هذا وصفه يعز ويقل. فكيف بأن ترد الناس عن رأيهم في هذا الشأن وأَصْلُك الذي تردهم إليه، وتعول في محاجتهم عليه استشهاد القرائح، وسَبْرُ النفوس وفَلْيُها، وما يعرض فيها من الأريحية عندما تسمع، وكان ذلك الذي يفتح لك سمعهم، ويكشف الغطاء عن أعينهم، ويصرف إليك أوجههم[(١)]، وهم لا يضعون أنفسهم موضع من يرى الرأي ويُفتي ويقضي إلا وعندهم أنهم ممن صفت قريحته وصحَّ ذوقه، وتمت أداته[(٢)]. فإذا قلت لهم: «إنكم قد أتيتم من أنفسكم»[(٣)] ردوا عليك مثله وقالوا: «لا، بل قرائحنا أصح، ونظرنا أصدق، وحِسُّنا أذكى، وإنما الآفة فيكم؛ لأنكم خيَّلتُم إلى أنفسكم أمورًا لا حاصل لها، وأوهمكم الهوى والميل أن توجبوا لأحد النظمين المتساويين فضلاً على الآخر من غير أن يكون ذلك الفضل معقولاً»، فتبقى في أيديهم حسيرًا لا تملك غير التعجب[(٤)]، فليس الكلام إذن بمغنٍ عنك، ولا القول بنافع، ولا الحجة مسموعة حتى تجد من فيه عون لك على نفسه[(٥)]، ومن إذا أبى عليك أبى ذاك طبعه فرده

(١) حاصل هذا أن العلوم التي لها أصول معروفة وقواعد ثابتة إذا أخطأ فيها مخطئ مهما كان متعصبًا، فإنه يمكن تنبيهه إلى خطئه، والاحتكام إلى عقله في معرفة تلك الأصول، لكن أمر الشعر مختلف لاعتماد المزايا فيه على الأريحية والإحساس والذوق، وهي أمور لا يملكها كل الناس، وليس لها مقياس، ومن الصعب أن تقنع من يفتقد هذا الإحساس بشيء في الشعر أنت تراه وتعتمد فيه على ذوق وبصيرة وأريحية.

(٢) أي أنهم يضعون أنفسهم موضع القادر على فهم الشعر وتذوقه وامتلاك أدواته، وهم لا يملكون شيئًا من ذلك.

(٣) أي: أسأتم لأنفسكم؛ حيث وضعتموها في غير موضعها.

(٤) أي أنهم لم يكتفوا بأن يدعوا ما ليس في وسعهم، ولكن تمادوا في الضلال برمي أهل العلم بالشعر بأن الآفة كانت منهم حيث يُخيّل لهم في الشعر أشياء ليست فيه فيما يتعلق بتميز شعر عن شعر من جهة النظم.

(٥) أي: لا فائدة مع المتعصب حتى يعينك على نفسه بأن تكون لديه بذروة إحساس ترده إلى رشده، فيعترف

أبى عليك أبى ذاك طبعه فرده إليك، وفتح سمعه لك، ورفع الحجاب بينك وبينه، وأخذ به إلى حيث أنت، وصرف ناظره إلى الجهة التي إليها أومأت، فاستبدل بالنِّفار أُنسًا، وأراك من بعد الإباء قبولاً.

[أمور قد تخفى على الناقد]

ولم يكن الأمر على هذه الجملة إلا لأنه ليس في أصناف العلوم الخفية والأمور الغامضة الدقيقة أعجب طريقًا في الخفاء من هذا، وإنك لتتعب في الشيء نفسك وتكد فيه فكرك، وتجهد فيه كل جهدك، حتى إذا قلت قد قتلته علمًا، وأحكمته فهمًا، كنت بالذي لا يزال يتراءى لك فيه شبهة، ويعرض فيه من شك، كما قال أبو نواس:

ألا لا أَرَى مثل امترائي في رَسْم ... تَغصُّ به عينِي ويَلفِظُه وَهمي[1]
أَتَتْ صُوَرُ الأشياء بيِني وبينه ... فظنِّي كلا ظنٍّ وعِلمي كلا علْمِ

[أخطاء خفية في النظم]

وإنك لتنظر في البيت دهرًا طويلاً وتفسره، ولا ترى أن فيه شيئًا لم تعلمه، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته، مثال ذلك بيت المتنبي:

عَجَبًا له حَفِظَ العِنان بأَنْمُلٍ ... ما حِفْظُها الأشياءَ مِن عاداتها[2]

فيعترف من بعد الإباء بالصواب.

(١) يعني أنه لا يشك في شيء مثل شكه في الأطلال وآثار الديار، فعينه تمتلئ بها، وفكره يلفظها وكأنه يراها ولا يراها في آن لاسيما وأن صورًا أخرى حالت بينه وبين تلك الرسوم، وهذا ينسجم مع قوله:

صفة الطلول بلاغة القدم ... فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وقدا استشهد به الشيخ على أن أمر الذوق عجيب ودقيق، فكم من الشعر تجهد فيه فكرك حتى تظن أنك قد أحطت به علمًا، ثم تعرض لك فيه شبهة، فتعود من حيث بدأت، وكأنك تعلم الشيء ولا تعلمه.

(٢) كنى عن شجاعة الممدوح وكرمه بإثبات الحفظ ونفيه، فالأنامل التي تحفظ عنان الخيل في ميادين القتال -ليس من عاداتها حفظ الأشياء في مواطن الجود، ولم يقصد الشيخ إثبات خطأ للمتنبي، ولكن قصد أن أمر الذوق عجيب، وأنه كالإلهام الذي لا يتأتى في كل وقت، فكم من خطأ ظنَّ طول الدهر أنه صواب، ثم هداه الذوق فجأة إليه، فتمام المدح بالجود كان يقتضي إضافة الحفظ للأشياء، وحذف الفاعل «الضمير المتصل»؛ لأن الإضافة إليه تثبت للأنامل حفظًا ما ليس من عاداتها، ولعل دقة المعنى وحسن التصرف فيه هو الذي صرف ناقدًا كبيرًا كعبد القاهر عن التنبه لذلك الخطأ دهرًا طويلاً.

مضى الدهر الطويل ونحن نقرؤه، فلا ننكر منه شيئًا، ولا يقع لنا أن فيه خطأ، ثم بَانَ بِأَخَرَةٍ أنه قد أخطأ، وذلك أنه كان ينبغي أن يقول: «ما حفظ الأشياء من عاداتها»، فيضيف المصدر إلى المفعول، فلا يذكر الفاعل، ذاك لأن المعنى على أنه ينفي الحفظ عن أنامله جملة، وأنه يزعم أنه لا يكون منها أصلاً، وإضافته الحفظ إلى ضميرها في قوله: «ما حفظها الأشياء» يقتضي أن يكون قد أثبت لها حفظًا، ونظير هذا أنك تقول: «ليس الخروج في مثل هذا الوقت من عادتي»، ولا تقول: «ليس خروجي في مثل هذا الوقت من عادتي»، وكذلك تقول: «ليس ذم الناس من شأني»، ولا تقول: «ليس ذمي الناس من شأني»؛ لأن ذلك يوجب إثبات الذم ووجوده منك، ولا يصح قياس المصدر على الفعل، أعني أنه لا ينبغي أن يظن أنه كما يجوز أن يقال: «ما من عاداتها أن تحفظ الأشياء»[1]، كذلك ينبغي أن يجوز ما من عاداتها حفظها الأشياء، ذاك أن إضافة المصدر إلى الفاعل يقتضي وجوده، وأنه قد كان منه، يبيِّن ذلك أنك تقول: «أمرت زيدًا بأن يخرج غدًا»، ولا تقول: «أمرته بخروجه غدًا».

[اعتقاد الصواب فيما خطؤه خفي]

ومما فيه خطأ وهو في غاية الخفاء قوله:

ولا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِته ... شكوى الجريح إلى الغِربان والرَّخَمِ[2]

وذلك أنك إذا قلت: «لا تضجر ضجر زيد» كنت قد جعلت زيدًا يضجر ضربًا من الضجر، مثل أن تجعله يفرط فيه أو يسرع إليه، هذا هو موجب العرف، ثم إن لم تعتبر

(١) يعني أنه لا يجوز قياس «ما من عاداتها حفظها الأشياء» على «ما من عاداتها أن تحفظ الأشياء» في الجواز؛ لأن إضافة المصدر لفاعله «ضمير الأنامل» يقتضي إثبات حفظها الأشياء، وأن هذا ليس من عاداتها، أي أن حفظًا عارضًا للأشياء قد حدث، وكأنه يعتذر من شيء لم يقصده، ولكن تلك الإضافة تؤدي إليه.

(٢) أي: لا تتشك إلى أحد من الخلق؛ لأنك إن شكوت إلى أحد يشمتك ويعرف نقطة ضعفك فينال منك، فتكون حينئذٍ كالبعير الذي أطلع الغربان والرخم على جُرحه، فوقعوا عليه ينهشونه، والرخم: جمع رخمة، وهو طائر خبيث «المصباح».

وقد ذكر الشيخ أن في هذا البيت خطأ في غاية الخفاء؛ لأن وقوع المشبه به مصدرًا مبينًا للنوع يقتضي وقوعه كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨]، فهناك مرور للسحاب قطعًا، هذا يقتضي في البيت أن يكون هناك جريح كانت منه شكوى إلى الغربان والرخم، وهو محال، وأرى جريان هذا المصدر على طريق الاستعارة التي يخيل فيها بعيرًا يشكو جرحه للغربان والرخم، والمعنى المقصود هنا يعود للمشبه، فيعني أن من تشكو إليه همك يجد منك فرصة ومطعنًا لينال منك، ولا يستبعد هذا في نوع من الناس فيه خبث ولؤم.

obeikandi.com

خصوص وصف، فلا أقل من أن تجعل الضجر على الجملة من عادته، وأن تجعله قد كان منه، وإذا كان كذلك اقتضى قوله:

شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

أن يكون ها هنا جريح قد عرف من حاله أن يكون له شكوى إلى الغربان والرخم، وذلك محال، وإنما العبارة الصحيحة في هذا أن يقال[١]: لا تشك إلى خلق، فإنك إن فعلت كان مثل ذلك مثل أن تصور في وهمك أن بعيرًا دَبِرًا[٢] كشف عن جرحه، ثم شكاه إلى الغربان والرخم.

[اعتقاد الخطأ فيما هو صواب]

ومن ذلك أنك ترى مِن العلماء مَن قد تأول في الشيء تأويلاً وقضى فيه بأمر، فتعتقده اتباعًا له[٣]، ولا ترتاب أنه على مع قضي وتأول، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدر، ومثال ذلك أن أبا القاسم الآمدي ذكر بيت البحتري:

فصاغ ما صاغ من تِبْرٍ ومن وَرِقٍ وحاك ما حاك من وشْيٍ وديباج[٤]

ثم قال: «صوغُ الغيث وحوكه للنبات ليس باستعارة، بل هو حقيقة، ولذلك لا يقال: «هو صائغ»، ولا «كأنه صائغ»، وكذلك لا يقال: «هو حائك» و«كأنه حائك»، قال: «على أن

---

(١) لعل الشيخ يقصد أن التأويل الصحيح لتلك العبارة أن تحمل على التمثيل بمعنى: لا تشك إلى خلق، فإنك إن شكوت كان مثلك مثل أن تتخيل بعيرًا يكشف عن جرحه، ويشكو للغربان والرخم، وفي شكوى الجريح للغربان استعارة في المشبه به أو الممثل به.

(٢) البعير الدَّبر هو الذي تقرَّح ظهره من كثرة الحمل عليه أو من القتب.

(٣) تعتقده: تعتقد صحته ثقة في قائله، وكان يقصد الآمدي كما سيتبيَّن، وفي هذا الكلام دليل على منزلة الآمدي عند عبد القاهر، وإن كان قد استدرك شيئًا عليه.

(٤) يصف أثر الغيث في ظهور النبات والأزهار والتي كان منها ما يشبه الذهب في صفرته، وما يشبه الفضة في بياضه وصفائه، ففي كل من التبر والورق استعارة تصريحية وبينها تناسب وتناظر، وصياغة البيت «صاغ ما صاغ... وحاك ما حاك» تعكس الاندهاش بجمال وكثرة ما صاغ وما حاك، وقد ورد البيت في «أسرار البلاغة»، وعلل الشيخ هناك استبعاد الاستعارة في الصوغ، وفي الحوك بالنظر إلى أن التجوز إنما وقع في إسنادهما للغيث؛ لأن الفاعل الحقيقي هو القادر سبحانه، والغيث سبب، فأسند الفعل إلى سببه إسنادًا مجازيًا، فمن المستبعد أن نقول بالاستعارة؛ لأنها تعني تشبيه الغيث بالقادر سبحانه [راجع: أسرار البلاغة].

لفظ «حائك» في غاية الركاكة إذا أخرج على ما أخرجه أبو تمام في قوله:

إذا الغيثُ غَادَى نَسجَهُ خلتَ أنه ... خَلَتْ حِقَبٌ حَرْسٌ له وهو حائك[١]

قال: وهذا قبيح جدًّا.

والذي قال البحتري: «فحاك ما حاك» حسن مستعمل، والسبب في هذا الذي قاله[٢]: أنه ذهب إلى أن غرض أبي تمام أن يقصد بخلت إلى الحوك، وأنه أراد أن يقول: «خلت الغيث حائكًا»، وذلك سهو منه؛ لأنه لم يقصد بخلت إلى ذلك، وإنما قصد أن يقول: إنه يظهر في غداة يوم من حوك الغيث ونسجه بالذي ترى العيون من بدائع الأنوار وغرائب الأزهار ما يتوهم معه أن الغيث كان في فعل ذلك وفي نسجه وحوكه حقبًا من الدهر، فالخيلولة واقعة على كون زمان الحوك حقبًا، لا على كون ما فعله الغيث حوكًا[٣]، فاعرفه.

[من اعتقاد الخطأ فيما هو صواب]

ومما يدخل في ذلك ما حكي عن الصاحب من أنه قال: «كان الأستاذ أبو الفضل يختار من شعر ابن الرومي وينقط عليه[٤]، قال: فدفع إليَّ القصيدة التي أولها:

«أتحت ضلوعي جمرةٌ تتوقَّد»

وقال: تأملها فتأملتها، فكان قد ترك خير بيت فيها وهو:

بِجَهْلٍ كجهل السيفُ والسيفُ مُنتضى ... وحلم كحلم السيف والسيفُ مُغْمَدُ[٥]

---

(١) حِقَبٌ: جمع حقبة وهي المدة، وحرس: بمعنى دهر، أي أنه قال: خلت أزمنة، ثم استأنف بالمبالغة في المعنى نفسه، فقال: دهر مضى له وهو حائك، ومعنى البيت آتٍ.

(٢) أي: قاله الآمدي في نقد بيت أبي تمام.

(٣) حاصل معنى البيت أن الغيث أول ما ينزل يتغير وجه الأرض ببدائع الأزهار والأنوار حتى يفعل في غداة ما يظن أنه استغرق في حوكه دهرًا طويلاً، فالبيت كناية عن سرعة ما يفعله الغيث، وقد ظنَّ الآمدي أن أبا تمام قصد: خلت الغيث حائكًا فحكم بالقبح عليه لما يتضمنه من تشبيه الغيث بالقادر سبحانه الذي ينبت النبات والأزهار، ولكن المعنى الذي قصده أبو تمام وغاب عن الآمدي: خلت زمان الحوك دهرًا.

(٤) الصاحب هو ابن عباد، وأبو الفضل هو ابن العميد، وينقط عليه: يضع نقطًا لتكون علامات على اختياره.

(٥) شبَّه اندفاع الممدوح في الحق بجهل السيف في حال سله وانتضائه، ثم شبَّه حلمه بحلم السيف في حال إغماده، أي أنه حلم القوي لا حلم الضعيف، ويعني هذا تشبيهه في كل أحواله بالسيف سوى أنه في حال اندفاعه يكون كالسيف المسلول، وفي حال حلمه يكون كالسيف المغمد، وقد جعل للسيف جهلاً

فقلت[١]: لـمَ ترك الأستاذ هذا البيت؟ فقال: لعل القلم تجاوزه، قال[٢]: ثم رآني من بعد فاعتذر بعذر كانَ شرًّا من تركه، قال: إنما تركته لأنه أعاد السيف أربع مرات. قال الصاحب: لو لم يعده أربع مرات، فقال: بجهل كجهل السيف وهو منتضى، وحلم كحلم السيف وهو مغمد؛ لفسد البيت.

والأمر كما قال الصاحب، والسبب في ذلك أنك إذا حدثت عن اسم مضاف، ثم أردت أن تذكر المضاف إليه، فإن البلاغة تقتضي أن تذكره باسمه الظاهر ولا تضمره.

تفسير هذا أن الذي هو الحسن الجميل أن تقول: جاءني غلام زيد وزيد[٣]، ويقبح أن تقول: «جاءني غلام زيد وهو»، ومن الشاهد في ذلك قول دعبل:

أضيافُ عِمْرانَ في خِصْبٍ وفي سَعَةٍ وفي جِباءٍ وخِيرٍ غيرِ ممنوعِ[٤]
وضيفُ عمرٍو وعمرٌو يسهران معًا عمرٌو لِبطْنته والضيفُ للجوع

وقول الآخر:

وإن طُرَّةٌ راقتك فانظر فربما أمَرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ[٥]

وقول المتنبي:

جهلاً وحلمًا ليتحد الطرفان في كلٍّ تشبيه، وأن الممدوح والسيف سواء، ومن أجل هذا أعاد ذكر السيف في كلِّ تشبيه.

(١) هذا من حكاية الصاحب بن عباد يخاطب ابن العميد.

(٢) القائل هو ابن عباد يتحدث عن ابن العميد بضمير الغيبة.

(٣) لا أدري أي حسن وأي جمال في: «جاءني غلامُ زيدٍ وزيدٌ»، وإنما يقال: «جاءني زيدٌ وغلامه»، ولو جعل لـ«زيد» إسنادًا مستقلاً لكان للكلام مساغ كأن يقول: «جاءني غلامُ زيدٍ وزيدٌ مسافر» مثلاً.

(٤) هذه رواية الديوان، وفي الكامل للمبرد:

أضياف سالم في خَفْضٍ وفي دِعَةٍ وفي شراب ولحم غير ممنوع

[راجع: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود شاكر]، والشاهد في البيت الثاني؛ حيث أعاد المضاف إليه باسمه لا بضميره، فهذا مقتضى البلاغة كما يذكر عبد القاهر.

(٥) الطُّرَّة في الأصل حاشية الثوب التي تصقله وتجمِّله، ثم أطلق على ما يجمل ناصية الجارية وهو هنا مستعار لكل صورة تجذب النظر، ومعنى البيت: عدم التعجل في الحكم على الظاهر، فربما كان ذلك الظاهر حسنًا والجوهر قبيحًا، وقد مثَّل لذلك بصورة العود الذي يروقك اخضراره، لكن مذاقه مُر. والشاهد أنه لما أعاد المضاف إليه «العود» أعاده باسمه لا بضميره، وهذا مقتضى البلاغة.

بمـــن نَضْرِبُ الأمثـــال أم مَـــنْ نَقيسُـــهُ إليـك وأهـلُ الـدهر دُونـك والـدَّهرُ[١]

ليس يخفى على من له ذوق أنه لو أتى موضع الظاهر في ذلك كله بالضمير فقيل: «وضيف عمرو وهو يسهران معًا»، و«ربما أمر مذاق العود وهو أخضر»، و«أهل الدهر دونك وهو»؛ لَعُدِم حسنٌ ومزيةٌ لا خفاء بأمرهما، ليس لأن الشعر ينكسر، ولكن تنكره النفس[٢].

[القياس على الأصل الذي ذكره الجاحظ]

والذي يوجبه التأمل أن يرد إلى الأصل الذي ذكره الجاحظ، من أن سائلاً سأل عن قول قيس بن خارجة: «عندي قِرى كل نازل، ورضا كل ساخط، وخطبةٌ من لَدُنْ تطلع الشمس إلى أن تغرب، آمر فيها بالتواصل، وأَنْهَى فيها عن التقاطع»، فقال[٣]: أليس الأمر بالصلة هو النهي عن التقاطع؟ قال: فقال أبو يعقوب: أما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشيف»[٤]، وذكرت هناك أن هذا الذي ذكر[٥] من أن للتصريح عملاً لا يكون مثل ذلك العمل للكناية، كان لإعادة اللفظ في قوله تعالى: ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾ [الإسراء:١٠٥]، وقوله: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ**﴾ [الإخلاص: ١-٢]، عملٌ[٦] لولاها لم يكن، وإذا كان هذا ثابتًا معلومًا؛ فهو حكم مسألتنا. ومن البيِّن الجلي في هذا

(١) ينكر الشاعر وجود نظير للممدوح، وعلَّل لذلك بأن الدهر وأهل الدهر دون الممدوح، وهذه من المبالغات الفجة، وإنما استشهد الشيخ بـ«أهل الدهر دونك والدهر» لإعادة المضاف إليه باسمه لا بضميره.

(٢) الحقيقة أن ذكر الضمير بدل الاسم الظاهر يؤدي إلى انكسار الوزن، ويؤثر على إيقاع الشعر، ولكن إحساس النفس وإنكار الطبع يكون أقوى من جهة تغيير النظم، وما يترتب عليه من مجافاة الذوق وإنكار النفس والطبع، وإذا كانت البلاغة تقتضي إعادة المضاف إليه باسمه كما ذكر من قبل، فذلك لأن النفس تقبله والطبع يأنس إليه، وعلى ذلك فإن الارتباط بين البلاغة وبين قبول الطبع وارتياح النفس وثيق في مذهب عبد القاهر، ونحن لا ننسى قوله بعد أن شرَّق وغرَّب في التفريق بين التشبيه والاستعارة، قال: «وهذا أمر لطيف لا ننتصِفُ منه إلا باستعانة الطبع عليه».

(٣) «فقال» أي: ذلك السائل.

(٤) ذلك لأن قوله: «آمر فيها بالتواصل» يتضمن بالكناية والتعريض: النهي عن التقاطع، لكنه لا يعمل عمل الإفصاح عن هذا المعنى بعده في «وأنهى فيها عن التقاطع».

(٥) هذا كلام عبد القاهر، ويقصد ما ذكره أبو يعقوب من أن للتصريح عملاً لا يكون مثله في الكناية.

(٦) «عمل» اسم «كان»، أي: إذا كان للتصريح عمل وغرض لا يكون مثله في الكناية في قول ابن خارجة، فإن لإعادة اللفظ في الآيتين عملاً وأثرًا لا يكون من غير الإعادة.

وإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ**﴾ وجدنا معناه: أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى جبريل عليه السلام

في هذا المعنى -وهو كبيت ابن الرومي سواءً؛ لأنه تشبيه مثله- بيت الحماسة:

شَـــــدَدْنا شَـــــدَّة الليـــــث غـــــدا والليـــــثُ غضـــــبانُ[(١)]

ومن الباب قول النابغة:

نَفْـسُ عِصَـامٍ سـوَّدتْ عِصَـامَا وعلَّمتْـــهُ الكَـــرَّ والإقـــداما[(٢)]

لا يخفى على من له ذوق حسن هذا الإظهار، وأن له موقعًا في النفس وباعثًا للأريحية لا يكون إذا قيل: «نفس عصام سودته»، شيءٌ منه البتة.

***

تمَّ الكتاب في أواسط شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسمائة. غفر الله لكاتبه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات برحمته، إنه أرحم الراحمين وخير الغافرين.

***

دفعة واحدة «في ليلة القدر» متلبسًا بالحق، وهذا كناية عن كونه كلام الله القديم لكونه بالحق الذي هو اسم لله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: نزل بواسطة جبريل عليه السلام على محمد ﷺ متلبسًا بالحقِّ، وهذا كناية عن كونه محفوظًا لكونه بالحقِّ الخالص الذي ليس فيه شائبة من الباطل، فالنزول غير التنزيل، والحق الثاني غير الأول، وعلى ذلك فليس ثمة إعادة. أما الإعادة في سورة «الإخلاص»، فإنها تُشعر باستقلال كل معنى بذاته، فالله سبحانه هو الواحد والله سبحانه هو الصمد المقصود في كلِّ الحوائج، = = فالواحد الخالق مستغنٍ عن المخلوق، والمخلوق محتاج إلى الخالق، ثم إن كل صفة من هاتين الصفتين لا تكون إلا لله سبحانه.

(١) البيت للفند الزماني: شاعر جاهلي [شرح حماسة التبريزي (١/ ١٣)] راجع تعليق شاكر، وفيه إعادة المضاف إليه «الليث» باسمه لا بضميره، وهي طريقة عربية لها ما يقتضيها بلاغيًّا؛ لأن إعادته باسمه يزيد من الإحساس بالقوة والهيبة.

(٢) يلتقي هذا البيت مع ما سبقه في إعادة المضاف إليه باسمه لا بضميره، لكنه يختلف في وقوع الاسم المعاد في جملة فعلية متممة لمعنى المبتدأ قبلها «نفس عصام سوَّدت عصامًا» بخلاف ما سبق؛ إذ كانت الإعادة في جملة اسمية مستقلة كما في «والليث غضبان»، ولا يخفى الفرق على لبيب.

خاتمة الشرح

بتوفيق من الله تعالى وعونه تمَّ شرح «دلائل الإعجاز» في منتصف شهر رجب سنة تسع وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م)، وكنت قد بدأته في مدينة المنصورة إحدى محافظات مصر المحروسة، وانتهيت من كتابة مقدمته بعد الفراغ من الشرح في مكة المكرمة على مقربة من المسجد الحرام، وكنت أستلهم التوفيق من الله تعالى متفائلاً بهذا المقام الذي أنعم الله به عليَّ للمرة الثانية، ويكون ذلك الشرح لمصنف قصد به مؤلفه الشيخ عبد القاهر خدمة كتاب الله تعالى بوضع الأسس التي يتوسل بها لمعرفة خصائص النظم المعجز، وقصدت من شرحه تيسير فهمه وتقريب مراده لطلاب العلم، راجيًا منهم الدعاء بأن يرحمني ربي يوم أقف بين يديه يحاسبني على تفريطي وتقصيري في شكر نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾ [إبراهيم:٤١]، ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأحقاف: ١٥].

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

تم مراجعته
محمد علي
غفر الله له
وللشارح محمد شادي

obeikandl.com

obeikandl.com

فهارس الكتاب

فهرس آيات القرآن العظيم
فهرس الحديث
فهرس الشعر
فهرس محتويات الكتاب

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس آيات القرآن العظيم

رقم الآية	السورة	الصفحة
	سورة الفاتحة	
٢-٧	السورة كلها ﴿الصِّرَاطَ﴾	٥٢٧، ٥٢٨
	سورة البقرة	
١-٢	﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾	٤٩، ٣١١
٦-٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيم﴾	٤٩، ٣١٢
٨-٩	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞يُخَادِعُونَ اللهَ﴾	٥٠
١١-١٢	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾	٣١٧، ٤٤٦
١٣	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾	٣١٨
١٤	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون﴾	٣١٣
١٥	﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٣١٦، ٣٢٠
١٦	﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾	٣٨١، ٣٨٣، ٤٧٨، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٨٢
٧١	﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾	٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤
٩٣	﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾	٤٧٩، ٥٠٥
٩٦	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾	٣٧٥

openkanal.com

رقم الآية	السورة	الصفحة
١٧٣	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾	٤١٨
١٧٩	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾	٣٤٨، ٣٧٦، ٤٧٣، ٥٠٦، ٥٩٧
	سورة آل عمران	
٣٦	﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾	٤١٧
٥٤	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ﴾	٣١٦، ٣١٧
٦٢	﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ﴾	٤١٨
٧٥-٧٨	﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	٢٠٨
	سورة النساء	
١٠٠	﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾	٣٣٢
١١٢	﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾	٣٣١
١٤٢	﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾	٣١٦، ٣١٧
١٧١	﴿وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾	٤٦٣
	سورة المائدة	
٦١	﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾	٢٠٥، ٢٠٨
١١٧	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾	٤٢٧
	سورة الأنعام	
٨	﴿قَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ﴾	٣١٨

رقم الآية	السورة	الصفحة
١٤	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾	١٩٥
٣٥	﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾	٢٤٣، ٢٤٤
٣٦	﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾	٤٢٠
٣٩	﴿مَن يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٢٤٥
٤٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾	١٩٥
٥٤	﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ﴾	٤٠٦
٥٦	﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾	٤١٣
١٠٠	﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾	٢٨، ٤٤، ٤٨، ٣٧٣
١٤٣	﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ﴾	١٨٧
	سورة الأعراف	
٣٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾	٤١٧
١٠٤	﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤١٣
١٢٣	﴿آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ﴾	٤١٤
١٢٥	﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾	٤١٤
١٨٦	﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٢٨٨
١٨٨	﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾	٤٢٤

obeikandl.com

رقم الآية	السورة	الصفحة
١٩٦	﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾	٢١٢
	سورة الأنفال	
٣١	﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾	٢٤٥
٥٥	﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾	٢١٤
٥٧	﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾	٥٨٣
٥٨	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾	٥٨٣
	سورة التوبة	
٣٠	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾	٤٦٨
٦٣	﴿أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾	٤٠٦
٩٣	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾	٤٣٤
١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾	٤٠٦
	سورة يونس	
٥٩	﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً﴾ = ﴿قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾	١٨٧
٦٧	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾	٥٣٨
٩٩	﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾	١٩٧
	سورة هود	
٢٨	﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾	١٩٠، ١٩٢
٣٧	﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾	٤٠٦

رقم الآية	السورة	الصفحة
٤٤	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٩٩، ١٥٢
	سورة يوسف	
٩	﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٤٠٦
٣١	﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾	٣١٤، ٥١١
٥٣	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٤٠٦
٨٠	﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾	٥٨٢
٨٢	﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾	٣٩١
	سورة الرعد	
١٩	﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾	٢١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥
٤٠	﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾	٤٣٤
	سورة إبراهيم	
١٠-١١	﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ = ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾	٤٢٢
	سورة الحجر	
٥٧-٥٨	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾	٣٢٧
٨٩	﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾	٤١٣
٩٤	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾	٥٨٠، ٥٨٢

رقم الآية	السورة	الصفحة
	سورة النحل	
٩	﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٢٤٣
٦٩	﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾	٣٧٧
١١٥	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾	٤١٨
	سورة الإسراء	
٧	﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾	٥٩٠
٤٠	﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾	١٨٦
٨٨	﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	٤٥٥
١٠٥	﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾	٢٥١، ٦٠٧
١١٠	﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءَ الْحُسْنَ﴾	٤٦٠
	سورة الكهف	
١٣	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾	٤١٣
١٨	﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ﴾	٢٥٥
٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾	٤١٢
٨٣-٨٤	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۞إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾	٤١٣

obeikandl.com

رقم الآية	السورة	الصفحة
	سورة مريم	
٤	﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾	١٩٦، ٤٧٦، ٤٨٥، ٥٠٥، ٥٨٢
٢٤	﴿جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾	٤٨٠
	سورة الأنبياء	
٦٢-٦٣	﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ = ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾	١٨٥
١٠٠-١٠١	﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ ۞إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾	٤١١
	سورة الحج	
١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾	٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٢
١٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	٤١١
٤٦	﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ﴾	٢٠٧، ٤٠٦
	سورة المؤمنون	
٢٤	﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً﴾	١٩٦
٢٧	﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾	٤٠٦
٥٩	﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾	٢١٣
١١٧	﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾	٢٠٧، ٤٠٦
	سورة النور	
٤٠	﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾	٣٦٢

obeikandl.com

رقم الآية	السورة	الصفحة
	سورة الفرقان	
٢	﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	٢٠٥، ٢٠٩
٥	﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾	٢١٢
	سورة الشعراء	
١٦	﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤١٣
٢٣-٣١	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٢٧
١١٧	﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾	٤١٧
١٣٠	﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	٥٩٠
٢١٦	﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٤١٣
٢٢٧	﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾	٧٩
	سورة النمل	
١٧	﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	٢١٢
	سورة القصص	
٢٣-٢٤	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾	٢٤٠
٤٤-٤٥	﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞وَلَكِنَّا أَنشَانَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾	٣٣٢، ٣٣٣
٦٦	﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾	٢١٤

رقم الآية	السورة	الصفحة
	سورة لقمان	
٧	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾	٣١٣
١٧	﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾	٤٠٦
	سورة فاطر	
٣	﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾	٢٥٧
١٤	﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	٥٨٣
١٨	﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾	٤٤٣
٢٢-٢٣	﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾	٤٢٣
٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩
	سورة يس	
٧	﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾	٢١٣
١١	﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾	٤٢٠
١٣-٢١	﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾	٣٢٨
٣٧	﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾	٥٨٢
٤٠	﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾	٤٦١
٦٩	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾	٣١٥
	سورة الصافات	
١٥٣-١٥٤	﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾	١٨٦

رقم الآية	السورة	الصفحة
	سورة ص	
١٦	﴿عَجِّل لَّنَا قِطّنَا﴾	٤٨٠
	سورة الزمر	
٩	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾	٢٣٣
	سورة غافر	
٦٦	﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾	٤١٣
٦٨	﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾	٢٣٣
	سورة الزخرف	
١٩	﴿وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾	٤٥٤، ٤٥٥، ٥١٦
٣٢	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾	١٩٧
٤٠	﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾	١٩٤
	سورة الدخان	
٥٠-٥٢	﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	٤١١
	سورة محمد	
٤	﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾	٥٨٢
	سورة ق	
٣٧	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾	٢٠، ٢١، ٤٤، ٣٩٣
	سورة الذاريات	
٢٤-٢٨	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾	٣٢٦

رقم الآية	السورة	الصفحة
	سورة النجم	
٣-٤	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾	٣١٥
	سورة القمر	
١٢	﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾	١٧٠
١٣	﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾	٤٨٠
٢٤	﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾	١٩٦
٤٣- ٤٤-٤٨	﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۞وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾	٢٣٣
	سورة المنافقون	
٤	﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾	٢٨، ٤٨٥
	سورة الحاقة	
١٣	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	٨٣
	سورة المدثر	
٦	﴿وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾	٢٨٨
	سورة النازعات	
٤٥	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَّخْشَاهَا﴾	٤٤٣
	سورة الغاشية	
٢١-٢٢	﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾	٤٤١
	سورة الليل	
١٧-١٨	﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ۞الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾	٢٨٨
	سورة الإخلاص	
١-٢	﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ﴾	٢٥١، ٤٦١

فهرس الحديث

الشعر	الصفحة
«إنما الشعر كلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح»	٧٥
«إياكم وخضراء الدمن»	٥١٨
«لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا، فيريه، خير له من أن يمتلئ شعرًا»	٧١
«إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرًا»	٧١
«قل وروح القدس معك»	٧١
«ما نسي ربك، وما كان ربك نسيًا، شعرًا قلته»	٧٢
حديث عبد الله بن مسعود في القتلي يوم بدر	٧٢
حديث محمد بن سلمة الأنصاري، عن استنشاده ﷺ حسانًا شعر الأعشى في هجاء علقمة بن علامة	٧٢
حديث عائشة، واستنشاده شعرًا لسعية بن غريض اليهودي	٧٣
حديث أم المؤمنين سودة، وإنشادها شعرًا، ظنت عائشة وحفصة أنها تعرض بهما، ومعرفته ﷺ أنه ليس عدي ويتم من قريش	٧٣
حديث أبي بكر، وسؤاله ﷺ عن صواب إنشاد شعر سمعه	٧٤
حديث النابغة الجعدى، وإنشاده، وقوله له:«لا يفضض الله فاك»	٧٤
حديث كعب بن زهير، وخبر قصيدته المشهورة	٧٤
حديث ذي اليدين حين قال: «أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟»	٣٧٠

obeikandl.com

فهرس الشعر

			الصفحة
ومنحط أتيح له أعتلاء	سليمان بن داود القضاعي	(الوافر)	١٥٨
تخير في الأبوة ما تشاء	عبد الله بن مصعب	«	٥٧٧
ومن حسب العشيرة حيث شاءوا	أبو البرج قاسم بن حنبل	«	٢٢٦
ليصحني فإذا السلامة داء	لبيد	(كامل)	٥٦٥
ـه تجلت عن وجهه الظلماء	ابن قيس الرقيات	(الخفيف)	٤٢٠، ٤٧
	***		
وكل مكان ينبت العز طيب	المتنبي	(طويل)	٥٦٢، ٥٧٥
إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا	النابغة الجمدي	«	٢١١
على وجهه من الدماء سبائب	الأخنس بن شهاب	«	٢٠٤
ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب	نصيب	«	٥٧٨
تقوم عليها في يديك قضيب	واثله بن خليفة السدوسي	«	٢٨٥
تنتقي منه وتنتخب	أبو نواس	(المديد)	٥٧٧
ولا ير مثلها عجم ولا عرب	ذو الرمة	(بسيط)	٢٢٥
شعل على أيديهم تتلهب	البحتري	(الكامل)	٣٨٩
فيه الظنون أمَذْهبُ أم مُذْهَبُ	أبو تمام	«	٥٨٤
دخلوا السماءَ دخلتُها لا أُحْجَبُ	خالد بن يزيد بن معاوية	«	٢٩٣
أملاً ويأْمُلُ ما اشْتهى المكذوبُ	نافع بن لقيط	«	٥٦٨
عقائل سِرْبٍ أو تَنقَّصَ رَبْرَبَا	البحتري	(الطويل)	٢٤٦
هواي، ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذَّبا	بشار	«	٢٧٧
وأجَردَ سَبَّاحٍ يَبُذُّ المغُالَيا		«	٢٠٣
عليَّ قضاء الله ما كان جالبًا	سعد بن ناشب	«	٣٠٣
لجناة الحسن عنابا	ابن المعتز	(المدير)	٥٢٦

obeikandl.com

مظلومةُ الرِّيق في تشبيهه ضربَا	المتنبي	(بسيط)	٥٦٧
تخال بياض لأمهم السرابا	زياد بن حنظلة التميمي	(الوافر)	١٥٣
فما إن رأينا لفتح ضريبًا	البحتري	(المتقارب)	١٤٦
إلينًا ولكن عذره عذر مذنب	أبو تمام	«	٥٦١
يحبك وإن تغضب إلى السيف يغضب	حجية بن المضرب	«	٢٦٦
على أروس الأقران خمس سحائب	البحتري	«	٣٨٨
تمهل في روض المعاني العجائب	أبو تمام		٥٧٩
تضاعف فيه الحزن من كل جانب	النابغة	«	٣٥٥
عصائب طير تهتدي بعصائب	«	«	٥٦٩
تنال إلا على جسر من التعب	أبو تمام	(البسيط)	١٣٨
من أن أكون محبًا غير محبوب	المتنبي	«	٢٧٢
ومن لي أن أمتع بالمعيب	البحتري	(وافر)	٥٧١
أرض ينال بها كريم المطلب	«	(الكامل)	٥٦٢، ٥٧٥
من خدرها فكانها لم تحجب	أبو تمام	«	٥٦٥
نُجْحُ الأمورِ بقوة الأسباب	(الباخزي)	«	٤٤٤
الليل أسود رقعة الجلباب	أبو تمام	«	١٧٥
قرأتْ به الورْهاءُ شطر كتاب	«	«	٤٨٧
بعتيبة بن الحارث بن شهاب	أبو ذؤاب ربيعة الأسدي	«	٣٤٠
وليغلبن مغالب الغلاب	كعب بن مالك	«	٧٢
فاقتص ناظره من القلب	أحمد بن أبي فنن	«	٥٥٧
في جسد من لؤلؤ رطب	إبراهيم بن المهدي	(السريع)	٥٧٧
مجد، وفضل الصلاح والحسب	يزيد بن الحكم	(المنسرح)	٣٩٧
ألقاه من زهد على غاربي	اليزيدي (يحيي بن المبارك)	(السريع)	٣٢٣
وتلطم الورد بعناب	أبو نواس	«	٥٢٥

obeikandi.com

خلالته كابي مرحب	النابغة الجمدي	(متقارب)	٣٩١
وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه	بشار	(الطويل)	١٦٢، ٤٩١
أربت، وإن عاتبته لأن جانبه	»	»	٢٦٦
أبو أمِّه حَيٌّ أبوه يقاربه	الفرزدق	»	١٤٣، ٣٥٩
يداك يدَىْ ليث فإنك غَالِبُه	»	»	٥٠٣
يغرف من شعره ومن خطبه	بشار	(المنسرح)	٥٧٩
يزد في نهاها وألبابها	ابن المعتز	(متقارب)	٤٠، ٥٧٣
إذا ما بيوت بالملامة حلت	الشنفري	(الطويل)	٤٠٠
بنا نعلنا في الواطئين فزلت	طفيل الغنوي	»	٢٣٧
نطقت ولكن الرماح أجرت	عمرو بن معد يكرب	»	٢٣٦
تخليت مما بيننا وتخلت	كثير	»	١٥٩
أيادي لم تمنن وإن هي جلت	محمد بن سعد الكاتب	»	٢٢٨
بجنوب خبت عريت وأجمت	جندب	(الكامل)	٣٢١
ببد تقر بأنها مولاته	عامر بن حطان الخارجي	(الكامل)	٥٦٨
ما حفظها الأشياء من عاداتها	المتنبي	»	٦٠٢
أحوذي ذو ميعة إضريج	أبو دؤاد الإبادي	(الخفيف)	١٥٥
وحاك ما حاك من وشيء وديباج	البحتري	(بسيط)	٦٠٤
يكد الوعد بالحجج	ابن المعتز	(الوافر)	١٣٦
في قبة ضربت على ابن الحشرج	زياد الأعجمي	(الكامل)	٣٩٦
وموت الهوى في القلب مني المبرح	ذو الزمة	(طويل)	٣٦٢
وسالت بأعناق المطي الأباطح		»	١٣١، ١٣٣، ٣٨٢، ٣٨٤
بنفسك إلا أن ما طاح طائح	الأغر الشاعر	»	١٣٧
طواهر جلدي وهو في القلب جارح	كثير	»	٥٦٥

openkandil.com